وقفات بين الإسلام و النصرانية

حول آدم عليه السلام والخطيئة المزعومة



تأليف
أبي عبد الرحمن
عادل بن يوسف العزازي

دار ابن الجوزي
القاهرة



وقفات بين الإسلام و النصرانية

حول آدم عليه السلام والخطيئة المزعومة

تأليف

أبي عبد الرحمن

عادل بن يوسف العزازي

دار ابن الجوزي

القاهرة

الطبعة الأولى
١٤٣١ هـ = ٢٠١٠م

رقم الإيداع : ٢٠١٠/١١١٧٢
الترقيم الدولي : 3 - 93 - 6307 - 977 - 978

الناشر

دار ابن الجوزي

جمهورية مصر العربية – القاهرة

درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

ت: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٩٠٣ - تليفاكس: ٠٠٢٠٢٢٥٠٦١٦٢٠

e_mail: dar_ ebnelgawzy @yahoo.com

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدمة

إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران : ١٠٢] .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء : ١] .

الوثنية التي كانت في الهند ومصر وغيرهما من الديانات القديمة .

وبداية ؛ فإن خطيئة آدم عليه السلام ذكرها القرآن الكريم بطريقة سهلة ميسورة تنسجم مع العقل والفطرة ، ولا تجد أي تصادم معهما ، فلنسمع إلى قول الله تعالى : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه : ١٢١ - ١٢٢] .

فبينت الآية أن الله سبحانه وتعالى تاب على آدم عليه السلام بعدما رجع إلى ربه وأقرّ بذنبه ، واعترف بعجزه واحتياجه إلى ربه ، فتجلى الله عليه برحمته ، وقبل معذرته ، فكانت توبة الله عليه .

وأما عند النصارى فالأمر في غاية التعقيد ، والقصة أشبه بالأساطير ، ولولا أننا نرى أن هناك من يؤمن بها ، لقلنا إنه يستحيل أن تكون هذه القصة تُروى أوتحكى ، لكن العجب ؛ كيف استساغ هؤلاء القوم أن يقبلوا عقيدتهم هذه ، ويسلسلوا أحداثها بكل عناد ومكابرة ، بل ويجعلونها أساس معتقدهم ، فالمسألة عندهم على هذا الترتيب الآتي :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد:

فإن أصدق الحديث كتاب الله، وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

وبعدُ:

فهذه مقارنة متعلقة بقصة آدم عليه السلام بين ما ورد في القرآن الكريم، وبين ما ورد في «العهد القديم» من «الكتاب المقدس» عند النصارى في «سفر التكوين»، حيث إنهم اعتمدوا اعتمادًا كبيرًا في أصل عقيدتهم على ما ورد في هذا السفر المذكور، والمقصد من هذه المقارنة: بيان فساد ما هم عليه من هذا المعتقد الذي هو عبارة عن شطحات فلسفية توارثوها من الأمم

الإنسان من خطيئة آدم ﷺ ونال الخلاص !! ويدّعون أن الله بذلك حقق عدله ومحبته .

ويا للعجب !! كيف كان هذا العدل وهذه الرحمة بإيقاع العذاب والصلب المزعوم على المسيح ﷺ بسبب خطيئة غيره ؟ وأي رحمة هذه أو أي محبة هذه التي تجعل الخطيئة تتوارثها الأجيال ؟ .

فهذه هي فلسفة الكنيسة : إن البشر كلهم تدنسوا بالخطيئة ، والعدل أنهم يستحقون بذلك العقاب والطرد من رحمة الله ، لكن لمحبة الله لنا لم يوقع العقاب بالبشرية ، بل فدانا بصلب المسيح ﷺ (!!) .

جاء في العهد الجديد : (بإنسان واحد دخلت الخطيئة إلى العالم ، والخطيئة الموت ، وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذا أخطأ الجميع) [رسالة بولس الى روميه٥ - ١٢] .

* * *

يقولون : إن الله توعد آدم إذا أكل من الشجرة بأن يموت ، ثم إنه لما أكل منها ، كان من العدل أن ينفذ الله وعيده ، لكنه لم يفعل ، وظلت الخطيئة ملازمة لآدم ، وتوارثتها أجياله من بعده ، فلا يولد مولود إلا وقد حمل من دنس ونجاسة هذه الخطيئة حتى الأنبياء والأتقياء من خلق الله يتحملون من خطيئة أبيهم آدم !!!

قالوا : وحيث إن الله يحبنا ، فإنه لم ينفذ العقوبة ، لكنه رأى وسيلة أخرى لكي يُطهِّر آدم وذريته من دنس هذه الخطيئة ؛ فكان ماذا ؟!

قالوا : حيث إن الخطيئة عظيمة يتحملها كل البشر من الخلق حتى الموت ، فكان لا بد من كفارة عظيمة مثلها ، وهذا الفداء لابد أن يكون له مواصفات معينة خلاصتها : أن الله جعل ابنه (!) - هكذا قالوا - هو الفداء للبشرية كلها ، فليس أعظم من أن يكون ابن الله الوحيد هو الفداء ، فهذه الكفارة ، وذلك بصلبه لكي ينالوا الخلاص من هذه الخطيئة ، وبهذا تحرر

أن يسامحه الملك ويعفو عنه ، عاقب الجميع فغضب عليهم وحمَّلهم خطيئة أبيهم .

ثم أراد الملك أن يسامحهم جميعًا ، وهو يملك ذلك ويقدر عليه بلا أدنى معاناة ، لكنه اقترح على نفسه فكرة طريفة حتى يتمكن من مسامحة هذا الوزير المخطئ ، وأولاده الغير مخطئين (!!) فماذا يفعل ذلك الملك العاقل ؟! .

إنها الأسطورة : قال لهم : سأذبح ابني من أجلكم ، فإذا تم ذلك وسال دمه ، وزهقت روحه ، فقد نلتم مني المسامحة ، وبغير ذلك لا أملك أن أسامحكم (!!)

فما ذنب هذا الابن ، يُقتل بلا ذنب اقترفه ؟ بل ما ذنب أولاد الوزير المخطئ ، ينالون الغضب من الملك ، وهم لم يرتكبوا خطيئة ؟

والسؤال المهم : ألم يكن في مقدور الله ﷻ أن يسامح آدم عليه السلام بدلًا من أن يُحمِّل خطأه البشر جميعًا بلا جرم فعلوه ، ولا ذنب اقترفوه ؟!

○ قضية متناقضة :

إننا في أي قضية لابد أن نعرف أولًا من هو الجاني ، ثم نوجه الاتهام له ، لا لغيره ، ثم بعد ذلك يصدر الحكم ضده ، لا ضد غيره ، لكننا إذا نظرنا إلى قضية خطيئة آدم ﷺ عند هؤلاء القوم رأيناها في منتهى التناقض ، فالقضية كالآتي [بحسب معتقدهم] :

الذي ارتكب الخطيئة (الجاني) : آدم ﷺ (!!)

والذين يحاكمون بلا ذنب (المتهمون) : جميع الذرية (!!)

وصدور الحكم بالصلب ليخلّص الجميع (المعاقَب) : عيسى ﷺ (!!!) هكذا كانت القضية ، فهل يقبل ذلك عقل ؟! .

الجاني غير المتهم ، والمتهم غير الذي يصدر عليه الحكم ، إن مثل ذلك كمثل ملك عنده وزير ، ولكن هذا الوزير أخطأ في حق المُلك - وفي مقدور الملك أن يسامحه - لكنه أبعده عن مملكته ، ثم حمّل وزره جميع من يولد من أبناء هذا الوزير المخطئ مهما كانوا طائعين للملك موالين له ، بل هم ومن خالفوه سواء ، والسبب في ذلك أن أباهم أخطأ ، وبدلًا من

وبناءً على هذه العقيدة المعقدة نشأ عندهم ما يسمى بالتعميد[١]، حيث إنهم يعتقدون أنه بالتعميد تتطهر النفس من الخطيئة الأصلية، وأنه يولد ولادة ثانية تعطي لصاحبها القدرة على فعل الخيرات.

هذه هي عقيدتهم مختصرة في خطيئة آدم عليه السلام، وسوف أقوم في هذه الرسالة الصغيرة بهذه الوقفات بين نصوص القرآن الكريم، ورواية سفر التكوين من كتابهم المعروف باسم: «العهد القديم»، ليظهر الحق عند كل ذي عينين.

❁ ❁ ❁

---

(١) **التعميد**: طقوس عند النصارى؛ بأن يُغمس الطفل المولود أو الداخل في دينهم، في إناء كبير، أو مغطس مثل المسبح، أو يرش بالماء، وذلك باختلاف كبير بين مذاهبهم، ويقرأ عليه القس أو الكاهن بعض الكلمات عندهم، تعرف بـ «صلوات العمادة»، وهم يعتقدون أن الإنسان لا ينجو إلا إذا عمد، وأما من لم يعمد فيكون إلى الجحيم.

وسوف تكون الدراسة على النحو الآتى :

أولًا : بيان قصة آدم عليه السلام حسب النصوص القرآنية .

ثانيًا : ذكر رواية سفر التكوين ، ونقد هذه الرواية بالأدلة العقلية ، وأدلة الكتاب المقدس نفسه[١] .

ثالثًا : مقارنة جامعة تظهر فيها الفروق في القصة بين نصوص القرآن الكريم ، ورواية سفر التكوين من « العهد القديم » .

رابعًا : ردود على بعض الشبهات التي أوردها النصارى تتعلق بمسألة توارث الخطيئة .

---

(١) لا يعني تسميتي لكتابهم بـ « الكتاب المقدس » صحة الاعتقاد لهذه التسمية ، بل لأن ذلك صار علمًا يُعرف به الكتاب بين الناس ، وهذا كقول النبي ﷺ لهرقل : « عظيم الروم » ، فهذا لا يعني إقراره ﷺ على ملكه ؛ لأنه ببعثته ﷺ لا يحق لأحد أن يكون حكمًا على الناس غيره ﷺ .
وفي هذا الباب أيضًا قوله ﷺ : « أنا ابن عبد المطلب » ، فليس في هذا إقرارٌ لهذه العبودية ، بل هو من باب الإخبار بالاسم العَلَم المعروف بين الناس ، واللهُ أعلم .

خامسًا : شهادة النصارى على بطلان توارث الخطيئة .

وأسأل الله ﷻ أن يهدي بهذه الرسالة هؤلاء الذين ضلّ سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعًا .

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين .

كتبـــه

ابو عبـــد الرحمـــن

عادل بن يوسف العزازي

شكر وتقدير

بخالص الحب والتقدير، وانطلاقًا من قول النبي ﷺ :

« **لا يشكر الله من لم يشكر الناس** » .

فإني أشكر كلًّا من :

١- الشيخ الفاضل والداعية الإسلامي الكبير، سيف الحق الصارم على أعداء الله: **أبو إسلام**: **أحمد عبد الله**، رئيس قناة الأمة . أسأل الله أن يعيدها للمسلمين مرة أخرى لتقوم بواجبها نحو الإسلام، وقد قام مشكورًا بمراجعة المادة العلمية لهذا الكتاب، وكانت له توجيهاته النافعة التي أعتز بها .

٢- الأخ الفاضل / محمد حسين سليمان، بما يقدمه لي من نصائح، وما يقوم به من مراجعات، حتى تم صدور الكتاب، وفقه الله دائمًا للخيرات .

٣- الأخ الفاضل / بلال علي حسن، الذي راجع الكتاب لغويًا، أعزه الله بالإسلام، واستخدمه دائمًا لنصرته .

نبي الله آدم عليه السلام من خلال نصوص القرآن الكريم

أخي القارئ : أرجو منك أن تقرأ معي هذه الآيات بتدبر ، ثم تأمّل الوقفات مع الآيات بعدها :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ ۖ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّيٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾

فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾ قُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ مِنْهَا جَمِيعًا ۖ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّى هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَاىَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩].

* * *

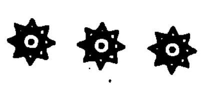
وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِىَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ ۚ

وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ (١٢١) ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾

[طه : ١٥ - ١٢٢] .

❋ ❋ ❋

وقد وردت القصة في مواضع أخرى من القرآن الكريم في سورة الأعراف والحجر وص ، وسوف أذكر ما أحتاج إلى ذكره مع الوقفات الآتية بمشيئة الله تعالى .



○ وقفات مع الآيات :

تكريم الله للإنسان قبل خلقه :

قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ٣٠] في هذه الآيات يتضح تكريم الله للإنسان ، وبيان ذلك فيما يلي :

(١) في هذه الآية امتنان من الله ﷻ على الإنسان بِذِكْرِهِ في الملأ الأعلى قبل إيجاده في الكون ، وهذا الذكر وحده كافٍ لتشريف النوع البشري .

(٢) أعدّ الله الإنسان وأمدّه بقدرات لعمارة الأرض ، وسخر له ما في الكون ، ولذلك نرى الآيات المذكورة قبل ذلك هي قوله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَسَوَّىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ ۚ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة : ٢٩] ، أي أن الله مهد لهذا الإنسان مقومات الحياة في هذه الأرض ، وهذا تكريم آخر للإنسان .

(٣) شرّف الله الإنسان بوظيفة الخلافة في الأرض، فنال بذلك شرف تنفيذ أوامره سبحانه وتعالى، واجتناب نواهيه، وإقامة العدل بأحكامه وشرائعه، فنال بذلك شرف الامتثال لله، وشرف العبودية له جلَّ وعلا، وكذلك جعل فيه من القدرات والمؤهلات ما يجعله أهلًا لهذه الخلافة، ولعمارة الأرض، والاستفادة بما سخره الله عزّ وجلّ له، حتى وصل هذا الإنسان إلى ما نراه الآن من رقي وحضارة تفوق التصور، فسبحان من خلقه وأعدّه وأمدّه.

وبهذا تعلم - أخي الفاضل - أن الإنسان وُجد في هذه الدنيا مكرمًا مشرفًا، له تطلعاته وقدراته، فتأمل هذا الفارق بين نظرة الإسلام للإنسان وتشريفه وتكريمه، وبين نظرة النصارى الذين يقولون: إن الإنسان مولود مدنسًا بخطيئة آدم، فخرج إلى هذه الحياة موسومًا بالذنب، لا لشيء اقترفه غير أن الإنسان الأول - هو آدم عليه السلام - أخطأ خطيئة أوجبت كل هذا العناء على جميع أبنائه[1]، كما

---

(١) وهم يعبرون عن خطيئة آدم عليه السلام بأنها خطيئة غير محدودة، ويسمونها: الخطيئة الأولى، أو الخطيئة الأصلية، أو الخطيئة الجِدِّية.

سنبين ذلك في فصول أخرى إن شاء الله تعالى .

قُلْتُ : ومن التشريف لآدم أيضًا ما توضحه الآيات من الحكمة في خلقه وهو ما نبينه فيما يلي :

○ **الحكمة من خلق آدم** ﷺ :

(٤) في هذه الآية سألت الملائكة ربها عن الحكمة من خلق هذا الإنسان قائلة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ ، فسؤال الملائكة هنا عن الحكمة من خلق الإنسان مع أنه ستقع منه معاصٍ وفساد ، ولم يكن سؤالهم اعتراضًا على فعل الله ﷻ ، ولا حسدًا لآدم ، ولا عن إعجاب بأنفسهم ، وإنما هو سؤال عن الحكمة من خلقه .

فإن قال قائل : كيف علمت الملائكة أن الإنسان يفسد في الأرض ويسفك الدماء ؟!

فالجواب من وجوه :

الوجه الأول : استنتاج من لفظ « خليفة » ، فإن الخليفة يفصل بين الناس في الخصوم ، فيفهم من ذلك أنه ستقع

خصومات بين الناس، واعتداء بعضهم على بعض بالفساد في الأرض وسفك الدماء.

قال القرطبي رحمه الله: (المعنى أنهم لما سمعوا لفظ خليفة فهموا أن في بني آدم من يفسد إذ الخليفة مقصود به الإصلاح وترك الفساد)[1].

الوجه الثاني: استنتاج ذلك من طبيعة الإنسان وكونه مخلوقًا من طين كما في قوله تعالى ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ [ص:٧١]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ﴾ [الحجر:٢٨]، فيمكن أن تتغلب بعض الصفات عليه بحيث يقع منه هذا الفساد وسفك الدماء.

الوجه الثالث: ولا يبعد أن الله عز وجل أخبرهم أو ألهمهم عن طبيعة هذا المخلوق، بأنه سيقع منه ذلك.

قال قتادة: (كان الله أعلمهم أنه إذا جعل في الأرض خلقًا

---

(١) تفسير القرطبي (١/٢٧٤).

أفسدوا وسفكوا الدماء فسألوا حين قال تعالى : ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ أهو الذي أعلمهم أم غيره)[١] .

(٥) لما سألت الملائكة عن الحكمة من خلق الإنسان الموصوف بالفساد وسفك الدماء أجابهم الله ﷻ بقوله : ﴿إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ، وفي هذا المعنى تنويه أن هذا المخلوق - رغم أن منه من يسفك الدماء ويفسد في الأرض - يقيم العبودية لله ﷻ .

قال القرطبي رحمه الله : (لكن عمموا - أي الملائكة - الحكم على الجميع بالمعصية ، فبين الرب تعالى : أن فيهم من يفسد ومن لا يفسد ، فقال تطييبًا لقلوبهم ﴿إِنِّي أَعْلَمُ﴾ ، وحقق ذلك بأن علم آدم الأسماء ، وكشف لهم عن مكنون علمه)[٢] .

قال قتادة رحمه الله : (لما قالت الملائكة : ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا﴾ ، وقد علم الله أن فيمن يستخلف في الأرض أنبياء وفضلاء وأهل

---

(١) تفسير الطبري (٤٦٤/١) برقم ٦١٠.
(٢) تفسير القرطبي (٢٧٨/١) .

طاعة قال لهم: ﴿إِنِّيٓ أَعۡلَمُ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾[١] .

قال ابن كثير رحمه الله: (أي إني أعلم من المصلحة الراجحة في خلق هذا الصنف على المفاسد التي ذكرتموها مالا تعلمون، فإني سأجعل فيهم الأنبياء وأرسل فيهم الرسل، ويوجد منهم الصدِّيقون، والشهداء، والصالحون، والعباد، والزهاد، والأولياء، والأبرار، والمقربون، والعلماء العاملون، والخاشعون، والمحبون له تبارك وتعالى، المتبعون رسله صلوات الله وسلامه عليهم)[٢] .

❁ ❁ ❁

(١) تفسير القرطبي (٢٧٨/١) .

(٢) تفسير ابن كثير (٣٣٧/١) .

• تشريف آدم عليه السلام بالعلم :

قال تعالى : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [البقرة : ٣١ - ٣٢] .

في هذه الآيات وقفات تدل على تشريف الإنسان أيضًا وذلك كما يلي :

أولًا : هذا تشريف آخر لآدم عليه السلام إذ أن الله تعالى علمه الأسماء كلها ، والظاهر من سياق الآيات أن الله علمه أسماء كل شيء ، لأن لفظ ﴿كُلَّهَا﴾ تدل على الشمول والإحاطة ، وهذا يدل على أن الإنسان وجد في هذا العالم عالمًا ، وأن علمه بإلهام الله له ، هذه نظرة إكرام للإنسان بخلاف ما سيأتي في العهد القديم بأن آدم كان لا يعرف الخير والشر .

ثانيًا : أن الله أظهر مكانة آدم بين الملائكة بعد هذا التعليم الذي أكرمه به ، فسأل الملائكة قائلًا : ﴿أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ

إن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ أي إن كنتم عالمين ، ولا يعني أن الله يُكذِّب الملائكة بقوله : ﴿إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾ فلم يقل ذلك تكذيبًا لهم ، ولكنه تصحيح لما عمموه من ذكر صفة سفك الدماء والفساد في الأرض لأن ذلك ليس عامًا في كل البشر ، ثم هـو أيضًا - بيان لهم يعني الملائكة - أنهم لا يعلمون الغيب ، ولذلك قالوا : ﴿سُبْحَـٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ .

وأمام هذا التصحيح والبيان للملائكة يظهر الله شرف آدم عليه السلام حيث يأمره أن يخبرهم بأسماء الأشياء فأخبرهم عليه السلام حيث يقول تعالى : ﴿قَالَ يَـٰٓـَٔادَمُ أَنۢبِئْهُم بِأَسْمَآئِهِمْ فَلَمَّآ أَنۢبَأَهُم بِأَسْمَآئِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾ [البقرة :٣٣] .

فلم يجعل الله آدم عليه السلام في مكانة دنيئة أو مرذولة ، بل رفعه وسما به حتى كان آدم هو الذي يخبر الملائكة بأسماء الأشياء ، والملائكة تستمع إليه ، وتتعلم منه هذه الأسماء ؛ فأي فضل بعد

• تشريف آدم بأمر الملائكة بالسجود له :

قوله تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٣٤] .

وقفات مع هذه الآية الكريمة :

أولًا : هذا تشريف آخر لآدم : إذ أنه سبحانه أمرهم بالسجود له إذا أتم خلقه ، فقال تعالى :

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ﴾ [الحجر : ٢٨، ٢٩] .

وقد اختلف العلماء في حقيقة هذا السجود :

هل هو وضع للجبهة على الأرض ؟

أو هو بمعنى الخضوع والتذلل ، أي : بمعنى امتثلوا أمره لفضله وشرفه ؟

أو أن المعنى : اسجدوا لي – أي لله – واجعلوا آدم قبلة لهذا السجود ؟

والظاهر من السياق أنه سجود حقيقي لآدم عليه السلام؛ لأنه المتبادر إلى المعنى، وكان هذا السجود إكرامًا لآدم كما قال قتادة: (فكانت الطاعة لله والسجدة لآدم؛ أكرم الله آدم أن أسجد له ملائكته)[١].

قال ابن كثير رحمه الله: (والأظهر أن القول الأول أوْلَى والسجدة لآدم إكرامًا وإعظامًا واحترامًا وسلامًا، وهي طاعة لله عز وجل لأنها امتثال لأمره)[٢].

ثم اعلم - أخي القارئ - أن هذا السجود كان جائزًا في الأمم السابقة ثم نسخ في شريعتنا، قال الله تعالى في قصة يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾

[يوسف: ١٠٠].

وثبت في الحديث عن معاذ رضي الله عنه قال: قدمت الشام فرأيتهم يسجدون لأساقفتهم وعلمائهم، فأنت يا رسول الله أحق أن

(١) الطبري (١/٥١٢) برقم ٧٠٧ - ط الرسالة.
(٢) تفسير ابن كثير (١/٢٣٢).

يسجد لك ، فقال ﷺ : « لا ، لو كنت آمرًا بشرًا أن يسجد لبشر ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عِظَمِ حقه عليها »(١) .

ثانيًا : في الآية تشريف آخر لآدم عليه السلام : لأن الله تعالى خلق آدم بيده ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وهذا تشريف لآدم في خلقه تعالى له ، لأن الله خلق كل شيء بقوله : « كن فيكون » إلا ما ورد في الحديث حيث يقول النبي ﷺ : « خلق الله آدم بيده ، وكتب التوارة بيده ، وغرس جنة عدن بيده »(٢) .

ولذلك فإنه لما امتنع إبليس من السجود قال الله له : ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾ [ص : ٧٥] أي : إذا لم أمتنع أنا من خلقه بيدي فكيف استكبرت أنت عن السجود له ؟ .

قال القرطبي : (أي : أَسْتَكْبرت ، ولا كِبْر لك ، ولم أتكبر

---

(١) صحيح : أبو داود (٢١٤٠) ، والترمذي (١١٥٩) ، وابن ماجه (١٨٥٣) .

(٢) الحاكم في المستدرك (٣٤٩/٢) ، وابن أبي شيبة (٢٨/٧) .

أنا حين خلقته بيدي ، والكبر لي ؟)[١] .

تنبيه : كانت حجة إبليس اللعين أنه خير من آدم عليه السلام كما ورد في سورة الأعراف : ﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ﴾ [الأعراف :٢٣] .

قال ابن كثير رحمه الله : (وقول إبليس - لعنه الله - ﴿أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ﴾ من العذر الذي هو أكبر من الذنب ، كأنه امتنع من الطاعة ، لأنه لا يؤمر الفاضل بالسجود للمفضول ، يعني - لعنه الله - وأنا خير منه فكيف تأمرني بالسجود له ؟ ، ثم بين أنه خير منه بأنه خلق من نار ، والنار أشرف مما خلقته منه وهو الطين ، فنظر اللعين إلى أصل العنصر ، ولم ينظر إلى التشريف العظيم وهو أن الله تعالى خلق آدم بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وقاس - يعني إبليس - قياسًا فاسدًا في مقابلة نص[٢] ... فأخطأ - قبحه الله - في قياسه

(١) تفسير القرطبي (١/٢٩٧) .
(٢) حيث إن الله عز وجل أمره بالسجود ، فكان الواجب اتباع النص الذي هو أمر الله ، ولا يَعْرِض ذلك على عقله وقياسه ، لأنه : لا اجتهاد مع النص .

ودعواه أن النار أشرف من الطين أيضًا ، فإن الطين من شأنه الرزانة والحلم والأناة والتثبيت ، والطين محل النبات والنمو والزيادة والإصلاح ، والنار من شأنها الإحراق والطيش والسرعة ، ولهذا خان إبليس عنصره ، ونفع آدم عنصره بالرجوع والإنابة والاستكانة والانقياد والاستسلام لأمر الله ، والاعتراف وطلب التوبة والمغفرة)[١] .

ثالثًا : في الآيات الكريمة تشريف ثالث لآدم عليه السلام لأن إبليس لما امتنع من السجود لآدم كان ذلك سببًا لغضب الله عليه ولعنه ورجمه كما قال تعالى : ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝٣٤ وَإِنَّ عَلَيْكَ ٱللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الحجر : ٣٤، ٣٥] .

فكانت معاداة الله للشيطان إكرامًا للإنسان ، ولذلك عاتب الله عز وجل من يتولون الشيطان ، فقال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ ٱلْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ

(١) تفسير ابن كثير (٦/٢٦٥) .

رَبِّهِۦٓ أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴾ [الكهف : ٥٠] .

وبهذا تعلم - أخي الحبيب - أن الله تعالى أكرم الإنسان بأن تولاه ، وجعل الملائكة يتولونه ، وأمرهم بالسجود له إعظامًا له ، ولعن عدوه وهو الشيطان .

❁ ❁ ❁

○ **تشريف آدم ﷺ بإسكانه للجنة :**

قوله تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾

وقفات مع هذه الآية الكريمة :

أولًا : شرف الله آدم بسكنى الجنة هو وزوجه حواء واختلف أهل العلم هل هذه الجنة في السماء أو الأرض ؟

قال ابن كثير رحمه الله : (والأكثرون على الأولى)[١] أي : أنها في السماء ، وأيد القرطبي هذا القول واعتبر ادعاء أنها في الأرض قول مبتدع[٢] ، وقال بعد ذلك : (قال أبو الحسن بن بطال : وقد حكى بعض المشايخ أن أهل السنة مجمعون على أن جنة الخلد هي التي أهبط منها آدم ﷺ ، فلا معنى لقول من خالفهم)[٣]

ثانيًا : من تشريف الله تعالى لآدم ﷺ أن الله أباح له نعيم

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣٩٢) .
(٢) تفسير القرطبي (١/٣٠٢) .

الجنة إلا شجرة واحدة منها(١) ، وهذا يدل على أنه كان منعمًا في الجنة كما قال تعالى :

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨] ، وهذا بخلاف ما ورد في سفر التكوين أن الله وضعه في الجنة ليعملها ويحفظها ، أي أنه في الجنة للعمل والحراسة ، وهذا ليس تكريمًا ولا تشريفًا .

---

(١) وهذا المنع له عدة حِكَم ، فيما يبدو لي :

أ- أنه امتحان واختبار من الله ﷻ .

ب- أنه تعليم للإنسان بأن لله وحده الأمر فيما يبيح ويحرم .

جـ- أنه تدريب للإنسان لحمل أمانة التكاليف .

د- إظهار لحقيقة الإنسان أنه عبد يؤمر وينهى من ربه .

هـ- بيان للإنسان أنه مهما كان منعمًا فهناك ممنوعات عليه بالأمر لا يخضع لأهوائه .

و- لتظهر حقيقة الشهوة في النفس البشرية ، والصراع الكامن في النفس بين الحق والباطل .

ز- ظهرت خصائص الإنسان بأنه : مأمور ، ضعيف ، عاجز ، وغير ذلك من صفات الإنسان ، فهو محتاج لعناية الله ، والتوبة منه عليه .

• إغواء الشيطان لآدم ، وانتصار آدم عليه بالتوبة :

قال تعالى : ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [البقرة :٣٦، ٣٧] .

وقفات مع هذه الآيات الكريمة :

أولًا : نجد في هذه الآيات أن الشيطان عدو الإنسان هو الذي أغوى آدم وحواء ﴿ فَأَزَلَّهُمَا ﴾ من الزلة ، أي : أوقعهما في الزلة وهي الخطيئة . وقرأ حمزة (**فأزالهما**) من الزوال ، أي نحاهما وصرفهما عما كانا فيه من الطاعة إلى المعصية .

ويتبين لنا من ذلك شدة عداوة الشيطان للإنسان ، فعلى الرغم من أن الله أخبر آدم عن عداوة الشيطان له في قوله تعالي : ﴿ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴾ [طه :١١٧] فعلى الرغم من هذا التحذير إلا أن ظهور هذه العداوة التي وصلت به إلى إخراجهما من الجنة يكون أدعى لمزيد

الحرص منه، والعداوة له.

ثانيًا: أوردت الآيات أن الإغواء كان للأبوين معًا بخلاف ما سيأتي في سفر التكوين أن الإغواء كان لحواء، ثم هي التي أعطت آدم من الشجرة، أما النص القرآني هنا فهو صريح في أن إغوائهما معًا دون تقديم أحدهما على الآخر، ولذلك تجد أن كل الأفعال الواردة في الآيات وردت بلفظ المثنى، وكذلك في سورة الأعراف ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا...﴾ [الأعراف: ٢٠] الآيات.

ولا يشكل على ذلك ما ورد في سورة طه أن الإغواء كان لآدم ﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ﴾ [طه: ١٢٠] لأنه - أعني آدم - هو المقصود بالإغواء بالدرجة الأولى من الشيطان، باعتبار أن الرجل هو قيم الأسرة، لكن حقيقة الأمر أن الإغواء لهما جميعًا، ولذلك نجد أن الآيات التي بعدها دلت على أن الإغواء لهما جميعًا ولم تخص آدم وحده، فقال تعالى: ﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا

﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١]. فعادت الآيات بلفظ المثنى أي لآدم وحواء.

وبهذا تعلم أن القرآن قرنهما في الإغواء، وحفظ للمرأة مكانتها بخلاف ما ورد في سفر التكوين الذي جعل الإغواء أولًا لحواء، مما يورث في النفوس عداوة للمرأة بأنها السبب في إخراج آدم من الجنة. وسيأتي بيان ذلك في الكلام عن سفر التكوين.

ثالثًا: فإن قال قائل: كيف استجاب الأبوان لوسوسة الشيطان رغم أن الله حذرهما، وبيّن عداوة الشيطان لهما، ونهاهما مباشرة دون واسطة؟

فالجواب من وجوه:

(أ) أن آدم عليه السلام «نسي» كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ [طه: ١١٥]، ونستفيد من ذلك أن طبيعة الإنسان النسيان وكم هو محتاج دائمًا إلى الذكرى. لذلك كان من تعاليم الإسلام الحميدة: التذكير كما

في قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾

[الذاريات : ٥٥] .

(ب) أن الشيطان أقسم بالله كاذبًا ، وما توقع آدم عليه السلام أن أحدًا يقسم بالله كذبًا ، فاستجاب لقسمه تعظيمًا للمقسم به وهو الله عز وجل ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ [الأعراف : ٢١] ، وهذا من كرم آدم عليه السلام وخبث إبليس - لعنه الله - ، فالمؤمن غِرٌّ كريم ، والفاجر خِبٌّ لئيم .

(جـ) أن الشيطان اللعين استخدم بوسوسته أساليب التأكيد في الإغواء ، وذلك فيما يلي :

● أكد كلامه بالقسم .

● وأكده بـ « إن » - التي هي حرف توكيد - فقال : ﴿إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ .

● تقديم « لكما » على النصحية ، كأنه يقول : نصيحتي مختصة بكما .

• إتيانه باسم الفاعل الدال على الثبوت واللزوم، ولم يأت بالفعل الدال على التجدد، فلم يقل إنى أنصح لكما، ولكنه قال: ﴿لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أي النصح صفتي وسجيتي وليس أمرًا عارضًا لي.

• إتيانه باللام في جواب القسم «لمن» وهي للتأكيد.

(د) أنه غرّ آدم عليه السلام بما وجده قد سكن في نفسه، فالإنسان يركن إلى الخلود، وهذه من طبيعة النفس البشرية فإنه يحب البقاء، ولعل آدم عليه السلام أحب البقاء لتكون طاعته لله مثل طاعة الملائكة، فأغراه الشيطان وانتهز فرصة نسيان آدم عليه السلام، فغرّهما في إغوائه كما قال تعالى: ﴿فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ﴾.

رابعًا - أعني من الوقفات حول الآية -: هذا الإزلال الوارد في الآيات هو إخراجهما من الجنة وإبداء سوءاتهما.

وهذا يدل على أن الطاعة ستر، وأن المعصية تهتك هذا الستر وبهذا يتضح لنا تشريف آخر لآدم وحواء، وذلك أنهما كانا مستورين، وهكذا ينظر الإسلام إلى أن الستر أصل في طبيعة

الإنسان ، (وسيأتي في سفر التكوين أنهما كانا عريانين) ، ولذلك لما انكشفت عوراتهما طفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة ، أي يصنعان لأنفسهما ما يستران به عوراتهما لأن الله فطرهما على الحياء ، وسترهما بما يستر عوراتهما ، لكنه تبين لهما وتعلما أن المعصية تهتك ستر الإنسان وحيائه .

فتأمل نظرة الإسلام للإنسان بأن الله خلقه حييًّا مستورًا ، ثم انظر إلى ما سيأتي في سفر التكوين أنهما كان عريانين ، ولا يعلمان أنهما عريانان ؟!! .

خامسًا : من خلال النصوص القرآنية الكريمة يتضح لنا أن الله سبحانه عَلِم بمعصية الأبوين مباشرة فعاتبهما بقوله : ﴿أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف :٢٢] ، وذلك لأن الله علام الغيوب ، فاحفظ هذا جيدًا ولا تغتر بما ورد في الإسرائيليات أن آدم عليه السلام اختبأ من الله في وسط شجر الجنة ، حتى سأله الله : أين أنت يا آدم ؟ وسيأتي هذا الهراء في سفر التكوين .

سادسًا : تأمل هذا الأدب السامي من الأبوين عندما سألهما ربنا ﷻ عن سبب وقوعهما في المعصية ، فإنهما أظهرا العبودية لله وحققا مبدأ الاعتراف بالذنب والتقصير منهما ، واحتياجهما إلى عفو الله ومغفرته ، فوقفا مقام الذل والانكسار بين يدى الملك الجبار سبحانه وتعالى :

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف :٢٣] .

وهذه هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه سبحانه وتعالى ، فإنه سبحانه لما علم ضعف الإنسان وعجزه لم يتركه يهلك مع هذا الضعف ، بل فتح له باب التوبة ، وعلَّمه كيف يتوب ويلجأ إلى ربه ، ليظهر عِزُّ الله وكبرياؤه ، وكذلك عفوه ورحمته ، ويظهر ضعف الإنسان وعجزه وأنه لا غنى له عن ربه طرفة عين .

سابعًا : وتأتي ختام القصة بهذا الموقف العظيم الذي يبين رحمة الله بخلقه : ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ، فكانت رحمة الله بهما في هذه التوبة ، حتى لا ييأس الإنسان من

رحمة الله وعفوه، فإنه موصوف بكل معاني البر والرحمة والعطف والإحسان، ولذلك يخاطبنا الله في القرآن :

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

[الزمر : ٥٣]

ثامنًا : والسؤال المهم في هذه القصة، وهو مفرق الطريق بين الإسلام والنصرانية : هل نزل آدم عليه السلام إلى الأرض بخطيئة أم نزل مغفورًا له ؟

إن الإسلام يقرر في غير موضع من القرآن أن الله تاب على آدم عليه السلام، وبدأ الإنسان حياته على هذه الأرض مُبرءًا مُطهرًا، مُظهرًا معاني العبودية لله، تأمل الآيات الآتية :

﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

[البقرة : ٣٧] .

﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه : ١٢١، ١٢٢] .

﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف :٢٣] .

وأما النصرانية؛ فإنهم يرون أن الإنسان بدأ حياته في الأرض بهذه الخطيئة ، وليتهم سكتوا على ذلك ، بل تمادوا حيث زعموا أن هذه الخطيئة توارثتها الأجيال ، فما من أحد يولد إلا وهو مدنس متهم بهذه الخطيئة وبنوا أساس عقيدتهم على هذا الأمر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

وأخيرًا - أخي القارئ - فقد اقتضت حكمة الله ﷻ أن يسكن آدم الجنة ليكون تمهيدًا للقيام بمهمته الأصلية التى خُلِق لها ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] .

فآدم عليه السلام خُلِق ليكون في الأرض يتبع هدى الله ، ولكن الله أراد تشريفه إسكانه الجنة قبل القيام بهذه المهمة ، وفي ذلك بعض الحِكَم التي تظهر لي :

(١) إظهار تكريم الله للإنسان ، وأن الجنة إنما خلقها الله له ليسكنها إن هو اتبع هدى الله .

(٢) تحقيق إظهار العداوة من الشيطان فهو الذي سعى فى إخراجهما من الجنة ، ويسعى دائمًا في منع الإنسان للوصول إلى الجنة ، وبهذا يحذر الإنسان وساوس الشيطان ويتعلم شيئًا من مكائدهِ فلا يستجيب له .

(٣) ليعلم الإنسان أن مسكنه الأول هو الجنة ، وأنه في هذه الدنيا كالغريب فعليه أن يسير جادًا إلى مسكنه الأول كما قال القائل :

فحيَّ على جنات عدن فإنها
منازلنا الأولى وفيها المخيم
ولكننا سبي العدو فهل ترى
نعود إلى أوطاننا ونسلم

(٤) ليوقن العبد بحقيقة نفسه أنه ضعيف عاجز ، وعليه إذا أغواه الشيطان أن يعود إلى ربه ويتوب إليه .

(٥) وأخيرًا لنعرف فضل الله ﷻ علينا الذي أنزل علينا – بعد هذا الإخراج – عهده وشرعه ، ليبين لنا المنهج الذي جعله

سببًا وطريقًا واضحًا إلى الجنة فقال تعالى: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾ قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ ءَايَٰتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾ [طه: ١٢٣ - ١٢٥].

❁ ❁ ❁

آدم عليه السلام كما ورد في سفر التكوين

أخي القارئ: أرجو أن تقرأ معي الرواية كاملة كما وردت في سفر التكوين، ولا تَمَلّ من قراءتها ، ثم قف معي مع الوقفات والملاحظات :

○ **تقول الرواية :**

(وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها ، وأوصى الرب الإله آدم قائلًا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت .

وقال الرب الإله : ليس جيدًا أن يكون آدم وحده، فأصنع له معينًا نظيره) [تكوين : ٢/١٥ - ١٨]

[وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة : أحقًا قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة .

فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة نأكل ، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا .

فقالت الحية للمرأة: لن تموتا، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما، وتكونان كالله عارفين الخير والشر .

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون، وأن الشجرة شهية للنظر، فأخذت من ثمرها، وأكلت، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل فانفتحت أعينهما ، وعَلِما أنهما عريانان، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر .

وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة .

فنادى الرب الإله آدم ، وقال له : أين أنت ؟

قال : سمعت صوتك في الجنة ، فخشيت لأني عريان
ااختبأت .

فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة
لتي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟

فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من
لشجرة فأكلت .

فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذي فعلت ؟

فقالت المرأة : الحية غرّتني فأكلت .

فقال الرب الإله للحية : لأنك فعلت هذا ملعونة أنت
ن جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية ، على بطنك
سعين ، وترابًا تأكلين كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بينك
وبين المرأة وبين نسلك ونسلها ، هو يسحق رأسك ، وأنت
سحقين عقبه .

وقال للمرأة : تكثيرًا أكثر أتعاب حبلك ، بالوجع تلدين

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلًا : لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكًا وحسكًا تنبت لك ، وتأكل عشب الحقل ، بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها ، لأنك تراب وإلى تراب تعود .

ودعا آدم اسم امرأته حواء لأنها أم لكل حي ، وصنع الرب الإله لآدم وامرأته أقمصة من جلد وألبسهما .

وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ، ويأكل ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها ، فطرد الإنسان ، وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم(١) ولهيب سيف متقلب لحراسة شجرة الحياة) [تكوين ١/٣ - ٢٤] .

---

(١) الكروبيم : ملائكة صغيرة - حسب معتقدهم -.

هذا هو نص الرواية كما في سفر التكوين ، وهي تختلف تمامًا عن نصوص القرآن الكريم ، وفيها من الملاحظات ما يدل على أنها ليست من وحي الله ، وسوف نقف مع هذه الفقرات ونبدي نظراتنا عليها وذلك فيما يلي :

○ نقد الفقرة الأولى من سفر التكوين :

آدم يُكلّف رغم انه لا يعرف الخير والشر (!)

(واخذ الرب الإله آدم ووضعه في جنة عدن ليعملها ويحفظها ، وأوصى الرب الإله آدم قائلًا : من جميع شجر الجنة تأكل أكلًا ، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت) .

نلاحظ أن في سفر التكوين تحديد الشجرة التي نهي عنها آدم ، وأنها شجرة معرفة الخير والشر ، كما نلاحظ تحديد العقوبة التي توعده بها رب العالمين إن هو أكل من الشجرة وذلك بأن يموت موتًا .

ومعنى هذا أن آدم حتى هذه اللحظة - لحظة النهي عن الأكل من الشجرة - لم يعرف الفرق بين الخير والشر ، والسؤال الذي يفرض نفسه : هل يصلح أن يخاطب أحد بتكليف وهو لا يعرف الخير والشر ؟ وكيف يفهم آدم أنه لو أطاع الرب لكان خيرًا ، ولو عصاه لكان شرًا ؟ بل كيف يعرف الطاعة من المعصية وهو الذي لم يدرك حتى أنه عريان إلا بعد أكله من الشجرة ؟ فهل يُكلف إنسان أشبه بالطفل الصغير الذي لم يعرف الخير و الشر ، والطاعة والمعصية ؟! .

ولذلك نتساءل : هل يا ترى فهم آدم الوعيد الذي توعده الله بقوله : لأنك يوم تأكل موتًا تموت ، هل يعلم آدم ما هو الموت ؟! وهو الذي لا يعرف الخير والشر (!)

وهل علم آدم أن هذا وعيد لا وعد ؟ إنه حسب الرواية لم يدرك آدم الخير والشر إلا بعد الأكل .

فقارن بين هذا وبين ما تقدم في نص القرآن بأن الله علّم آدم الأسماء كلها ، وأن الله أظهر شرفه بين الملائكة بالعلم ، ثم

أسكنه الجنة ونهاه عن الشجرة[١] ، وحذَّره أنه إن أكل من الشجرة يكون من الظالمين ، فلا شك أن مثل هذا الخطاب يفهمه آدم عليه السلام ويفهم معنى التكليف فيه ، لأنه رجل عَلّمه الله أسماء كل شيء ، ولا شك أن من ذلك التعليم أنه يفهم معنى الخير والشر ، ومعنى الطاعة والمعصية ، ومعنى الوعد والوعيد .

وهنا لابد من وقفة أخرى ؛ فإن الوعيد المذكور وهو أنه إذا أكل من الشجرة يموت ، والكل يفهم معنى الموت ، لكن الملاحظ من الرواية أن آدم عليه السلام لم يمت بعد أكله من الشجرة ، فإنه عاش تسعمائة وثلاثين سنة كما ورد في العهد القديم ، وهذا ما أوقع النصاري في حرج ومأزق إذ لم ينفذ وعيد الرب ، فأخذوا يدّعون أن المقصود بالموت أنه موت حُكْمي وليس موتًا حقيقيًا ، وادعوا معناه : أن الجسد تحمّل الخطيئة وأنه انتزع منه إرادة فعل الخير ، وهذا كلام باطل يزيد الأمر تعقيدًا ؛ لأنه ليس

---

(١) ولم يذكر النص القرآني نوع الشجرة ولا جنسها ، لأن المقام لا يحتاج الى ذلك ، بل هي شجرة ما ، نهاه الله عنها

في الكلام أدنى قرينة تدل على هذا المجاز الذي هو أشبه باللغز، وإذا كنا نقول إن آدم حتى هذه اللحظة لم يعرف الخير والشر في الظاهر من الكلام فكيف يفهم المجازات والألغاز ؟! .

فانظر - رحمك الله - كيف أسست هذه العقيدة على هذه المعاني المعقدة التي لا يقبلها العقل والفطرة، فهم يعتقدون أن الموت وقع لكنه مجازي وليس حقيقيًا (!) وهذا الموت هو أن الجسد حمل الخطيئة (!) ولا ندري كيف حملها ؟

ثم يتمادون في ذلك فيقولون : إن هذا الحمل للخطيئة انتقل إلى الأجيال وتوارثوها وتحملوها أيضًا !!

فهل معنى هذا أن الجينات أصبح لها نظامًا آخر بحيث يولد الإنسان مدنسًا بالخطيئة ؟!

وهكذا يُنظر إلى كل مولود يولد بأنه مدنس مخطئ بخطيئة آدم مذنب بذنبه، وأنه يحتاج إلى التطهير .

فأين هذا من عقيدة الإسلام التي ترى أن كل مولود يُولد طاهرًا نقيًا، كما ورد في قول النبي ﷺ : « كل مولود يولد

على الفطرة»[1] .

فأي الملتين أعظم ؟

ملّة الإسلام التي ترى أن الله شرف آدم بالعلم ، أم ملّة النصارى التي ترى أن الله حجب عنه معرفة الخير والشر ، ونهاه أن يأكل من شجرتها وأنه يعاقب لو أكل منها ؟.

ملّة الإسلام التى ترى أن كل مولود برئ طاهر مولود على الفطرة ، أم ملّة النصارى التي ترى أن كل مولود يولد مدنسًا نجسًا مخطئًا مذنبًا ، وأنه إذا مات قبل التعميد فقد مات بالخطيئة ويعاقب عليها بجهنم ؟.

ملّة الإسلام التي فيها أن آدم تعلم أسماء كل شيء قبل أن ينهاه الله عن الأكل من الشجرة ، فهو إنسان عاقل عالم مكلّف ، أم ملّة النصارى التى فيها أن آدم لم يعلم الخير والشر إلا بعد أن عصى الرب ، فهو إنسان جاهل ، لكنه بالمعصية تحصلت له

---

[1] البخاري (١٣٥١) (١٣٥٩) (١٣٨٥)، ومسلم (٢٦٥٨)، وأبو داود (٤٧١٤)، والترمذي (٢١٣٨).

المعرفة ، فكانت المعصية بركة ونعمة عليه لأنه علم الخير والشر ؟!!!

ونتسائل أيضًا : هل من محبة الله للإنسان أن ينهاه عن معرفة الخير والشر ، بل ويعاقبه إن هو أكل من شجرتها المزعومة ؟!

إن هذا يخالف ما عليه تعاليم الكتاب المقدس نفسه ، وإليك بعض النصوص الواردة فيه :

« تعلموا فعل الخير اطلبوا الحق » [اشعياء : ١/١٧] .

« فأعط عبدك قلبًا فهيمًا لأحكم على شعبك ، وأميز بين الخير والشر » [ملوك : ٣١/٩] .

« وعلموهم أن يحفظوا جميع ما أوصيكم به » [متى : ٢٨/٢٠]

فهذه نصوص تحث على تعلم فعل الخير وطلبه ، وترغب في الفهم ، وحفظ العلم ، وهذا يناقض مفهوم قصة آدم أن الله حرم عليه شجرة معرفة الخير والشر ، وأنه يعاقبه إن أكل منها .

❋ ❋ ❋

○ نقد الفقرة الثانية من سفر التكوين

لنعود الآن إلى الرواية ، وهي تشرح لنا كيف تم الإغواء والأكل من الشجرة :

(وكانت الحية أحيل جميع حيوانات البرية التي عملها الرب الإله ، فقالت للمرأة : أحقًا قال الله : لا تأكلا من كل ثمرة الجنة ؟

فقالت المرأة للحية : من ثمر شجر الجنة تأكل ، وأما ثمر الشجرة التي في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا .

فقالت الحية للمرأة : لن تموتا ، بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تتفتح أعينكما ، وتكونان كالله عارفين الخير والشر .

فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة للعيون ، و أن الشجرة شهية للنظر ، فأخذت من ثمرها ، وأكلت ، وأعطت رجلها أيضًا معها فأكل ، فانفتحت

أعينهما ، وعلما أنهما عريانان ، فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مآزر) .

وقفة مع هذه الفقرة :

يتضح من هذه الفقرة أن الحية هي التى أغوت حواء بالأكل أولًا ، فأكلت حواء ثم أعطت رجلها (آدم) فأكل هو الآخر .

وأن إغواء الحية يتلخص في أنها طمأنتها أنهما لن يموتا ، بل على العكس من ذلك تتفتح أعينهما ويكونان كالله عارفين الخير والشر .

وهذه المحادثة المذكورة ، فيها من البطلان ما يجعلها أشبه بالأساطير ، فلنقف مع هذه الأعاجيب :

أولًا : لاحظ أن الرواية لم تجعل للشيطان أي مدخل في إغواء آدم وحواء ، بل كان الإغواء عن طريق الحية الماكرة التي كانت - كما تقول الرواية - من أحيل الحيوانات .

وقد يكابر بعض النصارى فيدعي أن الإغواء كان عن طريق الشيطان ، وأنه تكلم على لسان الحية وبعضهم يقول : دخل في

جوفها ، وقال بعضهم : إن الحية رمز إبليس ، لكن الرواية لا تساعدهم على هذا الادعاء ؛ فالرواية واضحة العبارة أن الإغواء من الحية نفسها ، ودار بينها وبين المرأة هذا الحوار الطويل ، وليس فيها أدنى إشارة إلى أن الشيطان كان هو الذي يغويها .

وأيضًا العقوبة التي أوقعها الله وقضى بها كانت على الحية والمرأة والرجل - كما سيأتي في الفقرة الآتية - فليس للشيطان أي ذكر في الرواية ، ولا ندري ما السبب في عدم إيراد الشيطان في هذه الرواية ؟ هل يا ترى حتى لا نعرف حقيقة العداوة التي يعادينا بها الشيطان ؟

والسؤال الآن : ما الدافع الذي دفع الحية إلى الإغواء حتى ولو وصفت بأنها أمكر الحيوانات ؟ هل هي عاقلة مكلفة ؟ لو كان الأمر كذلك لكانت هي المذنبة ، وكذلك ذريتها ترث الخطيئة - على حسب معتقدات النصارى - ، وربما احتاج الأمر من الرب [المحبة !!] أن يتجسد مرة أخرى ليخلصها !!!

ثانيًا : تقدم أن الله توعد آدم أنه إن أكل من الشجرة فإنه موتًا

يموت ، ولكن الحية قالت للمرأة : لن تموتا ، فنحن الآن بين وعيد الرب لآدم ، وبين كلام الحية للمرأة التي تنفي فيه وقوع الموت ، فأي فأى الأمرين وقع وتحقق يا ياترى ؟! .

يـا للعجب !! فعلًا لم يمت آدم وحواء ، فكان كلام الحية أصدق من كلام الرب (!) ، ولو تأملت كلام الحية للمرأة شعرت أنها تطعن في كلام الرب ووعيده كأنها قالت لهما : كلام الرب غير صدق ، أو قالت لهما : الرب كاذب في قوله : موتًا تموتا ، لأن الحقيقة غير ذلك فلن تموتا ، ولن يكون هذا الوعيد الذي توعدكم به الرب .

لقد عاش آدم تسعمائة وثلاثين سنة كما تقول التوراة ، تصديقًا لكلام الحية ، وتكذيبًا لكلام الرب (!!)

فكيف يطمئن عاقل إلى صحة هذه الرواية ، وهذه الافتراءات التي تقال على رب العالمين ، فيتحقق كلام الحية الماكرة التي هي من أحيل الحيوانات ، كما تذكر الرواية ، ولا يتحقق كلام الرب صادق الوعد الذي لا يخلف الميعاد (!!) .

ثالثًا : هل كانت حواء موجودة ومخلوقة عندما نهى الله آدم عن الشجرة ؟

الجواب : حسب رواية سفر التكوين : لا ، لم تكن خلقت(١) ، لأن نص الرواية (٢/١٧) [وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها ، لأنك يوم تأكل منها موتًا تموت] . إذن الخطاب كان لآدم وحده ، دون حواء ، لنتأمل النص الذي بعده [٢/١٨] (وقال الرب الإله : ليس جيدًا أن يكون آدم وحده فأصنع له معينًا نظيره) . إذن حواء خلقت بعد وصية الرب لآدم بعدم الأكل من الشجرة ، فهي خارجة إذن عن النهي ، فلو أكلت ما كانت عاصية ، ولم تخبرنا الرواية أن الله نهاها هي الأخرى ، أو أن آدم أعلمها بالوصية ، فالأمور غير واضحة ، لكن العجيب أن حواء أخبرت الحية بالوصية التي لا علم لها بها ، لكنها ذكرت الوصية بغير ما وصى الله به آدم عليه السلام ، فلترجع إلى الوصية لآدم ،

---

(١) وهذا بخلاف ما في القرآن حيث القضية واضحة تمامًا ﴿وَلَا تَقْرَبَا

وهذا نصها : (وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها)
وأما حواء فقد قالت للحية عن الوصية : (وأما ثمر الشجرة التي
في وسط الجنة فقال الله : لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا)

ولا شك أن بين النصين اختلافًا :

(أ) فالأول : الخطاب لمفرد وهو آدم ﷺ ، والثاني لهما

(ب) والأول نهي عن الأكل ، والثاني نهي عن الأكل واللمس

وهذا كله يدل على أن هناك خللًا إما في الكلام الأول ، وإما
في الكلام الثاني ، وأيًا كان الخلل فهو يبطل كون هذه الرواية من
وحي الله ، وإن كانت الحقيقة أن الخلل ليس في الأول فقط ، أو
الثاني فقط ، بل فيهما جميعًا .

رابعًا : كان في إغواء الحية أن قالت : بل الله عالم أنه يوم
تأكلان تنفتح أعينكما وتكونان كالله عارفين الخير والشر ، فهل
كان هذا إغواء من الحية أم كانت نصيحة لهما لأنها تُبين لهما
حقيقة الأمر الذي أخفاه الرب عنهما (؟!!) .

فإن الحقيقة ليست كما زعم الرب أنكما تموتان موتًا فهذا

لن يحدث ، ولكن الحقيقة أنكما تتفتح أعينكما (وطبعًا الرب لا يريد ذلك) ، وتكونان كالله عارفين الخير والشر (وطبعًا الرب لا يريد ذلك) .

فمن يا ترى المحتال ؟ : الذي يقول لهما إذا أكلتما تموتان وهما لن يموتا إن أكلا ؟ ، أم الذي يقول : لن تموتا (وهذه هي الحقيقة) ، وأنكما تتفتح أعينكما (وقد حدث) وأنهما يكونان عارفين للخير والشر (وقد تحقق) ؟ .

فهل كانت الحية محتالة ماكرة ، أم ردت الأمر لنصابه ، وبينت لهما حقيقة الوعيد الذي توعده الرب بأنه مجرد هراء ، وأن الرب لم يبين لهما الحقيقة ، بل خوفهما بالموت - كما يخوف أحدنا طفله - أما الواقع فإنه لا يريد أن تتفتح أعينهما ولا يعرفان الخير والشر .

وأيضًا : إذا كان آدم وحواء لم تنفتح أعينهما ، حتى أنهما لم يعرفا أنهما عريانان ، فكيف تصف الرواية بأن حواء رأت الشجرة جيدة للأكل ، وأنها بهجة ، وأنها شهية للنظر ... الخ ؟ كيف

كانت عينها متفتحة لكل هذه الأوصاف قبل أن تأكل من الشجرة ؟!! ، أم أن المقصود بتفتح العينين معني آخر مجازي كما يزعمون عن معني الموت أنه مجازي وليس حقيقيًا ؟

خامسًا : الناظر إلى القصة يجد في نفسه اشمئزازًا وكراهية للمرأة لأنها هي التي استجابت للحية ، وبدأت بالمعصية ، وأعطت آدم عليه السلام من الشجرة ليأكل ، فهذه نظرة النصرانية للمرأة ؛ أنها سبب الإغواء والخطيئة ، وأنها وبال على الرجل ، ثم بعد ذلك ينسبون إلى الإسلام أنه أهان المرأة (!) فكيف ذلك والإسلام هو الذي كرمها ؟ .

إننا في نصوص القرآن نجد أنه لم يفرق بين آدم وحواء ، ولم يجعل حواء هي الغاوية ، فانظر إلى هذه الآيات من القرآن .

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾

[البقرة : ٣] .

﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا﴾

[الأعراف : ٢٠] .

﴿فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ [طه: ١٢١].

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف: ٢١].

﴿وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ [الأعراف: ٢٢].

وغير ذلك من الآيات التي يتبين من خلالها أنهما معًا مسئولان مسئولية كاملة.

بل جاءت بعض الآيات أحيانًا خطابًا لآدم عليه السلام فقط دون حواء باعتباره أنه صاحب القوامة: ﴿فَقُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَضْحَى ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا﴾ الآيات [طه: ١١٧ - ١٢١]. وهذا باعتبار أن آدم عليه السلام هو قيم الأسرة والمسئول الأول.

أما العهد القديم فيرى أن المرأة هى السبب في إغواء آدم،

ولذلك جاءت عبارات الإهانة والإساءة عندهم للمرأة.

وأنا أنقل لك بعض هذه العبارات لتعرف نظرتهم الحقيقية إلى المرأة:

(١) في رسالة بولس الأولى لتيموثاوس.

(وعلى المرأة أن تتعلم بصمت وخضوع تام، ولا أجيز للمرأة أن تعلم ولا أن تتسلط على الرجل، بل عليها أن تلزم الهدوء، لأن آدم خلقه الله أولًا، ثم حواء، وما أغوى الشرير آدم، بل أغوى المرأة فوقعت في المعصية). [٢/١١ - ١٤].

(٢) وصف العهد القديم المرأة بأنها أَمَرُّ من الموت.

ونص التوراة:

(فوُجدت أَمَرُّ من الموت: المرأة التي هي شباك، وقلبها إشراك، ويداها قيود، الصالح أمام الله ينجو منها، أم الخاطئ فيؤخذ بها) [الجامعة ٧/٢٦ - ٢٧].

(٣) يقول ترتوليان قديس النصارى: (إن المرأة مدخل

الشيطان إلى نفس الإنسان ، ناقضة لنواميس الله ، مشوهة لصورة الله)[١] .

(٤) يقول القديس سوسنام : (إنها شر لا بد منه ، وآفة مرغوب فيها ، وخطر على الأسرة والبيت ، ومحبوبة فتاكة ، ومصيبة مطلية بالسموم)[٢] ..

(٥) يقول بولس أيضًا : (لكنني أخشى أنه كلما خدعت الحية حواء بمكرها هكذا تفسد أذهانكم عن البساطة في المسيح) [كورنثوس ١١/٣] .

يقول القس بول فنتورا لتلاميذه : (إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائنًا بشريًا ، ولا كائنًا وحشيًا ، وإنما الذي ترونه هو الشيطان)[٣] .

---

(١) نقلًا من كتاب « عودة الحجاب » للدكتور محمد إسماعيل المقدم ، (٢/٥١ - ٥٢) .

(٢) « المرأة في القرآن » ، نقلًا من كتاب « عودة الحجاب » .

(٣) « المرأة في الأديان السماوية » . نقلًا من كتاب « عودة الحجاب » (٢/٥٢) .

(٦) انعقد مؤتمر ماكون في القرن الخامس الميلادى الذي يبحث موضوع: (هل المرأة مجرد جسم لا روح فيه أم لها روح)[١].

(٧) انعقد مؤتمر في فرنسا في القرن السادس تحت عنوان: (هل المرأة إنسان أم غير إنسان)[٢].

ولذلك قرروا أن الزواج دنس يجب الابتعاد عنه، وأن العزب أكرم عند الله من المتزوج، وأعلنوا أنها باب للشيطان، وأن العلاقة بالمرأة رجس في ذاتها، وأن السمو لا يتحقق إلا بالبعد عن الزواج.

لذلك لا تستغرب أننا نرى عندهم الكلام الكثير من التحذير من المرأة سليلة حواء، بل علينا أن ننزع الثقة منها، ونحجر عليها لأنها كانت أداة الشيطان الطيعة للوصول إلى غواية الرجل، وحثه

---

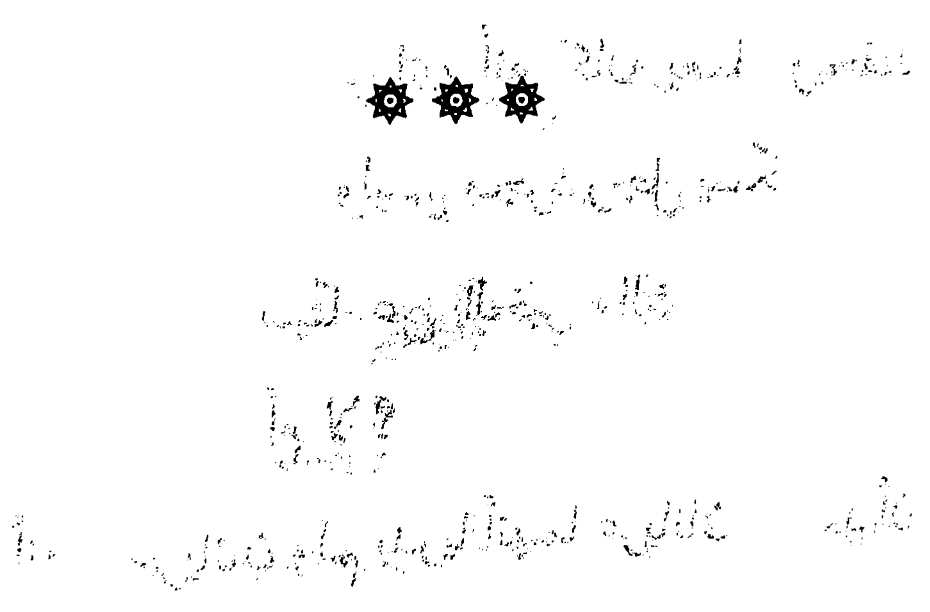
(١) انظر كتاب «العلمانية، نشأتها وتطورها» لسفر الحوالي (صـ٥٤) نقلًا من كتاب «عودة الحجاب» (٥٢/٢) لمحمد إسماعيل المقدم.

(٢) المصدر السابق.

على المعصية .

وعلى هذا اقترنت المرأة دومًا بالشيطان والخطيئة ، فليس من المستغرب أن تتعرض المرأة في مواعظ الكنيسة ومحاكم التفتيش في العصور الوسطى بالحط من قيمتها والتحذير منها دائمًا .

فكانت المرأة تتعرض للقتل أو الإحراق عند إصابتها بأي عارض مرضي نفسي أو جسدي بحجة تلبس الشيطان بها .



○ حال آدم في الجنة حسب رواية التوراة :

سادسًا : نتسائل . أي جنة هذه التي سكنها آدم عليه السلام - حسب روايتهم - وحاله فيها - كما نرى - مزري جدًا ؟ مع أن ذِكْر الجنة يوحي بالبهجة والنعيم والسعادة : فانظر إلى حال آدم وامرأته - كما جاء في الرواية - لنخلص بهذه النتيجة :

(أ) في الفقرة السابقة : وأخذ الرب الإله آدم ووضعه في الجنة **ليعملها ويحفظها** ، أي أنه كان يعمل ويحفظ الجنة (يعني جنايني وحارس) ، وليس مجرد رجل يسكنها ليتنعم بها .

(ب) لا يعرفان شيئًا عن الخير والشر، فهما بالطبع لا يشعران أنهما في نعيم أم لا ؟

(جـ) أنهما عريانان ولم يدريا أنهما عريانان إلا بعد أن عصيا الرب .

قارن بين هذه الحالة وبين قوله تعالى في القرآن : ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾ [البقرة : ٣٥] .

فهما ساكنان متنعمان بنعيم الجنة، ترفرف عليهما سعادة السكون والطمأنينة والبهجة، وتأمل كلمة « **رغدًا** » التي تدل على نضوج النعيم وخصوبته، وكماله وكثرته.

وتأمل أيضًا قوله تعالى في القرآن:

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٨ - ١١٩].

فهما في الجنة: لا جوع.. لا تعري.. لا ظمأ.. لا حرارة تؤذيهما.

ولذلك نسأل النصارى: ما الفرق بين وجود آدم في الجنة وبين خروجه منها حسب الرواية عندكم؟ بل نسألكم أي الحالين أفضل له؟

فمن المعلوم أنه كان يعمل في الجنة قبل الخروج، وبعد خروجه منها ورد النص عندكم [بالتعب يأكل] فلا فرق إذن قبل الخروج وبعده.

وهو في الجنة كان عريانًا، وبعد خروجه صنع مآزر، فصار

أحسن حالًا بذلك .

في الجنة كان جاهلًا لا يعرف الخير والشر ، وبعد الخروج انفتحت أعينهما وصارا يعرفان الخير والشر .

فظاهر الحال ينطق أنه بعد الخروج أحسن منه قبل الخروج، ويمكن لقائل أن يقول : ليته لم يسكنها .

سابعًا : في النص المذكور أن المرأة أكلت بعدما أقنعتها الحية بالأكل ، لكن المدهش أنها بعدما أكلت أعطت رجلها فأكل ، بدون أي سؤال ولا نقاش ، استجاب لها مباشرة ، فماذا نقول لمن يدّعون توارث الخطيئة .

هل نقول لهم : لقد توارثتم أيضًا عدم السؤال لنسائكم عن شيء ؟

أم ورثتم أيضًا أن القوامة لها - أعني للمرأة - ، وأنها صاحبة القرار ، والكلمة لها ، وبدون نقاش ، حتى لو أَوْدَت بكم إلى المهالك ؟

أم ورثتم الحذر منها لأنها كالحية ، إلا أن الحية تتكلم ببرهان

تقنعها ، وأما هي فإنها تعطي الأمر ، وعلى الرجل أن يستجيب بلا نقاش ولا سؤال ، فالحذر من تصرفاتها ونصائحها فهي عدوة الرجل بالدرجة الأولى ؟

ثامنًا : الذي يبدو من ظاهر القصة أن آدم لم يقع في الخطيئة ، والعجيب أنه ورد في الإنجيل ما يؤيد أن آدم لم يقع في الخطيئة ، فقد ورد في تيموثارس (٢ - ١١) ما نصه : (وآدم لم يغو ، بل المرأة أغويت فحصلت في التعدي) .

وهذا هو الظاهر من هذه الرواية ، وذلك للأسباب الآتية :

(أ) الحوار وقع كاملًا بين المرأة والحية ، وليس فيه أدنى إغواء لآدم عليه السلام .

(ب) ليس في القصة أن المرأة تكلمت مع آدم بشأن الحوار السالف الذكر ، فهو لا علم له به بالمرة .

(جـ) أعطت المرأة رجلها فأكل ، فهل مجرد أن أعطته فأكل دليل على الخطيئة منه ؟ هل كان لابد أن يسألها عن نوع هذا الطعام لأنه يفقد الثقة فيها ؟ أم أنه اكتفى بحسن ظنه بامرأته

بأنها سوف تعطيه مما أباحه الله له كالعادة التي يعيشان عليها؟

(د) هذا كله مع تذكر أن آدم لم يعرف الخير والشر ولا يدري حتى كونه عريانًا.

فكيف يتهم إنسان وثق في زوجته بما قدمته له من طعام على العادة التي بينهما، ولم تخبره عن حقيقة هذا الطعام، وعما دار بينها وبين الحية من إغواء.

لعل الفائدة التي نخلص بها من هذا الفصل، إلقاء العداوة بين الرجل وزوجته، وعدم الثقة في أي شيء تقدمه له، فلعله يكون مما حرمه الله.

فهل هذا ما يريده النصارى ويبنون عليه بيوتهم (؟!!) فليراجعوا أنفسهم.



○ نقد الفقرة الثالثة من سفر التكوين :

(وسمعا صوت الرب الإله ماشيًا في الجنة عند هبوب ريح النهار ، فاختبأ آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة ، فنادى الرب الإله آدم ، وقال له : أين أنت ؟

قال: سمعت صوتك في الجنة ، فخشيت لأني عريان فاختبأت .

فقال : من أعلمك أنك عريان ؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها ؟

فقال آدم : المرأة التي جعلتها معي هي أعطتني من الشجرة فأكلت .

فقال الرب الإله للمرأة : ما هذا الذي فعلت ؟

فقالت المرأة : الحية غرَّتني فأكلت .

فقال الرب الإله للحية : لأنك فعلت هذا ملعونة أنت من جميع البهائم ، ومن جميع وحوش البرية ،

تسعين وترابًا تأكلين كل أيام حياتك ، وأضع عداوة بينك وبين المرأة ، وبين نسلك ونسلها ، وهو يسحق رأسك وأنت تسحقين عقبه .

وقال للمرأة : تكثيرًا أكثر أتعاب حملك ، بالوجع تلدين أولادًا ، وإلى رَجُلِك يكون اشتياقك ، وهو يسود عليك .

وقال لآدم : لأنك سمعت لقول امرأتك ، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلًا : لا تأكل منها ، ملعونة الأرض بسببك ، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك ، وشوكًا وحسكًا تنبت لك ، وتأكل عشب الحقل ، بعرق وجهك تأكل خبزًا حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها ، لأنك تراب وإلى تراب تعود) .

وقفات مع هذه الفقرة :

هل جهل آدم صفات الله :

أولًا : ما هذا الوصف المشين الذي تحكيه الرواية عن الله ﷻ :

ماشيًا في الجنة (!!) كأنها فسحة يتنزه فيها الخالق سبحانه، وآدم يختبأ من وجه الرب حتى لا يراه، فهل الرب لا يعلم مكان آدم وهو علام الغيوب مما دفع آدم إلى الاختباء منه ؟!!

عجيب شأن آدم معكم أيها النصارى واليهود أيضًا، فآدم علم أنه عريان بعد أن انفتحت أعينهما، ومع ذلك مازال جاهلًا عن صفات الرب فيختبأ منه (!!)

فهل يا ترى آدم ظل على جهله بالرب حتى مات؟ وهل لم يستفد شيئًا من أكله من شجرة الخير والشر إلا أنه عريان؟.

وإذا كان آدم يجهل صفات ربه، وهو أبو البشر فحري بكم أنتم أيضًا ألا تعرفوا شيئًا عن صفات الرب، ولذلك اعتقدتم فيه أنه نزل من على عرشه، والتحم ببطن مريم، ووُلِد منها طفلًا رضيعًا يلتقم الثدي ويبكي كبقية الأطفال، ثم هو بعد ذلك تأخذه اليهود، وتحكم عليه، ويضربونه ويصفعونه، ويضعون الشوك على رأسه ويسخرون منه، ثم يصلبونه. كل هذا اعتقاد منكم أنه بهذا يخلصكم ويخلص جميع البشر - حتى الأنبياء -

من الخطيئة المزعومة التي تدّعون أنهم توارثوها عن آدم عليه السلام !!.

إنكم لا تعرفون صفات ربكم ، لأنكم هكذا ولدتم من أب - تزعمون - لا يعرف صفات ربه فيختبأ منه ، فلا أنتم أحسنتم إلى أبيكم ، ولا أحسنتم إلى ربكم .

❋ ❋ ❋

○ كيف علم الرب معصية آدم ؟

ثانيًا : نلحظ من سرد الرواية أن كل ما حدث من إغواء الحية للمرأة ، ثم أكل المرأة من الشجرة ، وتقديمها لرجلها ليأكل هو الآخر كل هذا كان خفيًا عن الله ، فكيف يا ترى علم الرب أنهما أكلا من الشجرة ؟

يا للعجب !! تفيد الرواية أن الرب علم ذلك بطريق « **الاستنتاج** » ، يعني : بالفلسفة والمنطق اللذين اعتمد عليهما النصارى في تأسيس مذهبهم .

فانظر وتأمل كيف عَلِم الرب عز وجل عصيان آدم عليه السلام :

إنه ينادي : أين أنت يا آدم (!!) فهذا أول العجب (لا يعلم أين آدم حتى يضطر لأن يسأل !) .

ولما أجابه آدم أنه اختبأ لأنه عريان ، عندئذ استنتج الرب أن آدم أكل من الشجرة (!) فقال له : كيف علمت أنك عريان ؟ أي أن الرب استنتج بما أن آدم علم أنه عريان ، فهو إذن قد علم الخير والشر ، ومعنى ذلك أنه أكل من الشجرة التي توعده الله بأنه يموت موتًا إذا أكل منها ، وهذا أعجب العجب .

جميل والله أيها النصارى هذا المبرر لفعل الذنوب ، فإن هذا الكلام يوحي لأصحاب الذنوب أن الله لا يعرف عن ذنوبهم شيئًا ، فليفعلوا ما شاءوا ، لِيَقِلُّوا أو يُكْثِروا ، فالرب لا يعلم ذنب المذنب إلا بطريق الاستنتاج ، ولعله يخيب أحيانًا في هذا الاستنتاج ، فيمر المذنب والرب لا يراه (!!!) .

وأيضًا ففي وصف الرب أنه لم يعرف مكان آدم حتى سأله ، ولم يعرف خطيئته إلا بالاستنتاج ، في هذا الكلام ما يناقض الكتاب المقدس نفسه !!؟

وأسوق لك بعض النصوص منه ليتبين لك ذلك :

- « وليست خليقته غير ظاهرة قدّامه ، بل كل شيء عريان ومكشوف لعيني ذلك الذي معه أمرنا » . [عبرانيين : ٤/١٣].

- « يحصي عدد الكواكب يدعو كلها بأسماء » .

[مزمور : ١٤٧/٥].

وأسأل: إذا كان هذا وصف الرب أن كل شيء أمامه مكشوف ، وأنه يحصي عدد الكواكب ، فكيف يخفى عليه مكان آدم حتى سأله ؟

❁ ❁ ❁

○ آدم لا يعترف بالذنب :

ثالثًا : عندما سأل الرب آدم : هل أكلت من الشجرة ... إلخ ؟ هل أقر بالذنب ، أم أراد آدم أن يبرأ نفسه ، ورمى باللائمة على حواء ؟ ، وإذا لم يقر آدم بالذنب ، ولم تثبت عليه الجناية فلماذا عاقبه الله إذن ؟!!

فإن قالوا : أيًا كان الأمر فآدم شارك في أكله من الشجرة ،
نقول : وهل يليق به أن يخاطب الله بمثل هذا الخطاب الذي ليس فيه أي اعتراف بالذنب والتقصير ، أو بالندم على الفعل ولم يطلب العفو من الله ؟ .

فأين هذا الأسلوب من أسلوب القرآن الراقي الذي يقر فيه آدم وحواء بالذنب ويطلبان العفو من الله ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الأعراف :٢٣] .

فهذه هي حقيقة العبد أمام ربه ، يقف أمامه منكسرًا ذليلًا يرجو منه المغفرة والرحمة ، ويعلم يقينًا أن نجاته بيد ربه ، وإن لم تتحقق المغفرة والرحمة من الله فهو من الخاسرين الهالكين ؛ لأنه لا سبيل له إلا باب ربه ومولاه .

❁ ❁ ❁

○ التحقيق مع آدم وحواء :

رابعًا : نجد أن الرب سأل آدم فدافع عن نفسه وألقى باللائمة على المرأة ، فتحول التحقيق مع المرأة ، وسألها الرب: ما هذا الذي فعلت ؟ فألقت باللائمة على الحية بأنها غرّتها فأكلت ، وإذا به يعاقب الحية مباشرة ، فلماذا لم يسألها هي الأخرى كما سأل آدم وحواء ؟ .

فهل يا ترى لأنه لو سألها سيكون جوابها أنها أهدت لهما حقيقة الأمر بأنهما لن يموتا ، وبأنهما سيعلمان الخير والشر ، وسيكون ذلك قاصمة الظهر ، حيث لا يمكن أن توجه إليها تهمة ، بل تمدح على فعلها ، فيظهر من عقوبته أنه ظلم لها ، إذ كيف تعاقب وهي لا تستحق العقاب ؟ .

وعلى ضوء هذا : فالتحقيق في القضية لم يكتمل ، والحكم صدر دون أن تغلق ملفات القضية ، ولذلك يمكن القول : إن الأمر يحتاج إلى استئناف ومراجعة لنعرف من يستحق العقاب ومن لا يستحق ؟!

○ العقوبات الواردة في القضية :

خامسًا : بدأ الحكم أولًا على الحية ، لأنها هي السبب الأصلي في الإغواء (مع أنه نصيحة وليس إغواء) ، فنقول : لماذا تعاقب الحية : هل هي مكلّفة حتى تعاقب ، وما هذه العقوبة المضحكة : (على بطنك تسعين !) ، فهل يا ترى كانت الحية قبل هذا الحدث تمشي على غير بطنها ؟ ، وما هي الصفة التي كانت الحية تسعى بها يا ترى ؟ .

ثم ماذا عن خطيئة هذه الحية التى عاقبها الرب : هل هي الأخرى توارثت الخطيئة كما توارثها أبناء آدم ؟! .

وهل يا ترى ستحتاج إلى مُخلِّص لها هي الأخرى ؟!

وأخيرًا : ورد في العقوبة : « وترابًا تأكلين » فهل الحية تأكل التراب ؟ أين هذا ؟

ثم قوله : (وأضع عداوة بينك وبين المرأة ..) ، فهل ياترى كانت هناك صداقة بينهما ، فلما كان ما كان تحولت الصداقة إلى عداوة عقوبة من الرب لها ؟! فهذا كلّه لا معنى له ، لأن هذه

ليست عقوبات ، بل تحصيل حاصل ، فالحية هي الحية على وصفها المعروف من يوم أن خلقها الله .

وإذا تأملت القصة هنا فإنها لم تجعل للشيطان أي ذكر في هذه الأحداث ، وإنما المتهم الأول الحية ، أما القرآن الكريم فقد ذكر أن سبب الإغواء هو الشيطان .

فإن قال قائل : إن الله ألقى العداوة بين الشيطان وآدم عندما أخرجهما من الجنة حيث قال الله تعالى : ﴿قَالَ ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه : ١٢٣] ، وعلى هذا ينقلب السؤال علينا – نحن المسلمين – فهل كان بين الشيطان وآدم صداقة قبل هذه العداوة ؟

فالجواب : لا ، لأن الله ﷻ بين أن هذه العداوة كانت موجودة قبل ذلك ، وقد ظهرت واضحة منذ أن أمر الله الملائكة بالسجود لآدم فأبى إبليس وامتنع عن السجود فقال تعالى لآدم : ﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه : ١١٧] . بل أمرنا الله بمعاداته حيث قال :

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ [فاطر: ٦] . وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ عند إخراجه من الجنة ، إنما هو من التحقيق لهذه العداوة الموجودة .

وبهذا يتبين الفرق بين القرآن الكريم الذي يوضح الأمور توضيحًا جليًا ، وبين هذه الرواية المؤلفة التي يظهر في كل كلمة منها استفهام لا يليق بالله ولا بأنبيائه .

۞ ۞ ۞

○ العقوبة الموجهة إلى حواء :

سادسًا : وأما عقوبة المرأة فأشد عجبًا مع العلم أنها لم تَمتُ كما كان وعيد الرب ، بل كانت العقوبة : أن يكثر أتعاب حبلها ، وأن تلد بالوجع ، فهاتان عقوبتان متعلقتان بحمل المرأة وولادتها ، ولعل السؤال المحيّر : إذا لم تكن حواء أكلت من الشجرة فهل يعني هذا أنها كانت سوف لا تشعر بالتعب في الحمل ، ولا بالوجع في الولادة ؟

وإذا كان ذلك على حواء لأنها باشرت المعصية ، فلماذا كانت العقوبة موروثة إلى بناتها ؟ وما ذنبهن يعاقبن بما لم تقترف أيديهن ؟

حقًا ؛ إنها رواية تُذكّر كل امرأة عند ولادتها بالجريمة البشعة التي ارتكبتها أمها حواء ، مما يجعل جميع الأمم تشعر بالكراهية لحواء (أمهم الأولى) لأنها هي السبب في هذه الآلام والصرخات والوجع الذي تجده المرأة في حملها ووضعها .

ثم إن هذا الوجع والألم تشترك فيه جميع الثديات والبهائم ، فهل هي الأخرى ابتليت بهذه الخطيئة ، أم لها خطيئة أخرى شبيهة بخطيئة آدم حتى أصابها ما أصابها ؟

ولكننا نرى أن القرآن يبين أن حقيقة الألم والوجع عند حمل المرأة ووضعها هو أمر طبعي لا علاقة له بما اقترفه الأبوان ، فقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ﴾ [لقمان : ١٤] .

وقال تعالى : ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ

كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا﴾ [الأحقاف: ١٥].

فهل لعاقل منكم أن يقر بعظمة القرآن، وأنه تنزيل من حكيم حميد؟! وأن الكتاب المقدس لديكم كتاب مؤلف، فيه من الكلام ما لا يليق بالله ولا بأنبيائه؟.

وبهذا تعلم أن العقوبات الواردة على الحية وعلى المرأة هي تحصيل حاصل، رغم أن الرواية تظهر الرب وهو في حال غضب شديد: يلعن ويصدر أحكامه، فلم تكن - رغم ذلك - ثَمَّ عقوبة، ويزيد الأمر وضوحًا بقية العقوبة التى صدرت من الرب ضد حواء، فانظر وتعجب لهذه العقوبات حيث قال:

(وإلى رجُلِك يكون اشتياقك، وهو يسود عليك)، إنه العجب العجاب، فهل اشتياق المرأة إلى زوجها عقوبة (؟!!)؛ يعني أن الذنب كان سببًا بأن تشتاق حواء إلى آدم، وعليه فالذنب كان سببًا لسعادة المرأة حيث تشتاق إلى زوجها.

ولك أن تتسائل إذن: كيف كان الحال بين آدم وحواء قبل ذلك: هل يا ترى أنها كانت لا تشتاق إليه، أم كانت تنفر منه

وتتمنى ألا تره ؟

لا أدرى كيف تفكرون أيها الناس ، و كيف تصدقون هذه الروايات ، وهل هذا يليق أننا إذا رأينا امرأة تشتاق لزوجها ، قلنا لها : هذا جزاؤك الذي تستحقينه ؟ أم أننا نعتبر اشتياقها إليه فضيلة لها تُغبط عليها ؟

مع أننا نرى في واقع الحياة أن هناك نساء لا تشتاق إلى أزواجهن ، فهل هؤلاء معفيات من تنفيذ الحكم عليهن ، وما الحكم الذي سيصدر على المرأة التي لم تتزوج يا ترى ؟!

إن القرآن اعتبر علاقة الأبوين من اللحظة الأولى على المودة والرحمة والسكون ، قال تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف : ١٨٩] . وقال تعالى : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم : ٢١] .

وقال تعالى : ﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ﴾ [البقرة : ٣٥] فهو سكون كل منهما للآخر ، وسكونهما معًا في

علاقتهما الزوجية ، فهذا الذي يليق بالأبوين ، ويليق بحكمة الرب سبحانه وتعالى وهو المناسب مع واقع الأمر ، فاتقوا الله أيها النصارى واعلموا أن روايتكم هذه لا تتناسب مع حقيقة الأمر ، ولا تليق بالله سبحانه وتعالى .

ثم ما معنى : (وهو يسود عليك) في نهاية العقوبة الصادرة ضد حواء ، فهذه ليست عقوبة أبدًا ، بل هو الأمر الطبعي الجبلي الذي خلق الله الإنسان عليه ، أن للرجل القوامة على المرأة ، ولذلك أمر الله به في الإسلام تشريعًا فقال تعالى : ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡۚ﴾ [النساء : ٣٤] .

فهل أنتم تعتقدون أن سيادة الرجل على المرأة عقوبة للمرأة ؟!

فانظر إلى هذا وتأمل حقيقة الإسلام الذي يراه طبيعة لما تميز به الرجل من الصفات التي تؤهله أن يكون في هذه المنزلة ، ولذا جعله تشريعًا حكيمًا ، فالرجل له القوامة على المرأة ليصونها ويحفظها ويمنعها من التبذل والانحطاط .

وإذا كنتم ترون أن الرجل يسود على المرأة، فلماذا تتهمون الإسلام عندما يشرع القوامة للرجل على المرأة ؟!

ويبقى **السؤال** : ما حال العلاقة التي كانت بين الأبوين قبل أن يأكلا من الشجرة ؟

هل يا ترى كانت المرأة هي التي تسود على الرجل فعوقبت بضد ما كانت عليه ؟!

أم كانا متساويين على حد سواء، فليس للرجل سيادة على المرأة، ولا للمرأة سيادة على الرجل، بل السفينة تبحر بقيادة الاثنين معًا ؟! وهذا مخالف لطباع البشر .

❁ ❁ ❁

○ العقوبة الصادرة ضد آدم عليه السلام:

سابعًا : فإذا انتقلنا بعد ذلك إلى العقوبة الصادرة ضد آدم عليه السلام ازداد العجب أكثر، إذ فيها يظهر انفعال الرب وشدة غضبه حتى إنه لعن الأرض بسبب آدم على حين أن آدم برأ نفسه براءة

...مقبولة ، لكن الرب - مع ذلك - لعن الأرض ، فأين ما تقولون : الله محبة ، أين هذه الرحمة التي يلعن الرب فيها الأرض كلها بسبب ذنب واحد ، مع أن الرواية لا تثبت التهمة على آدم عليه السلام ؟!

ثامنًا : لماذا تغير حكم الرب ؛ حيث إنه توعد آدم أنه إذا أكل من الشجرة موتًا يموت ، فلماذا لم يقع الوعيد ، علمًا بأنه في مخالفة الوعيد سيكون التصديق للحية التي قالت لحواء : لن تموتا ؟ فإن قالوا : إنما فعل ذلك محبة لآدم ولذريته ، حتى يفديهم الرب بالموت صلبًا .

فالجواب : أن هذا الكلام عذر أقبح من ذنب ، لأنه في قدرة الرب أن يعفو عنهم دون العناء الذي تذكرونه عن مسألة الصلب والفداء .

فإذا كان الله يريد أن يعفو عن آدم لعفا عنه مباشرة وهذا ما يقرره القرآن كما قال تعالى : ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه : ١٢٢] .

وكيف يترك الرب الأمر هكذا فيظهر صدق الحية التي

أغوتهم، ويظهر هو سبحانه بضد ذلك، أليس هذا قلبًا للموازيين؟، وبعد هذا كله نتساءل: ما ذنب الأرض التي لعنت من الإله (المحبة!!) كما تقولون؟!

تاسعًا: ثم إن هذه العقوبة غريبة أيضًا، فإنه عاقبه بأن يأكل بالتعب ويعرق وجهه، فهل ترون أن هذه عقوبة عاقب بها الرب آدم قبل الخروج من الجنة، لأنه كما ورد في أول الرواية أن الله وضعه فيها ليَعْمَلَها ويحفظها، إذن هو كان يعمل فيها ويحفظها فيقوم بدور (الجانيني)، و(الحارس)، فما الذي جدّ على آدم، اللهم إلا أن يقال. زيادة في الكد والتعب؟.

إن القصة في القرآن تختلف تمامًا؛ فآدم في الجنة كان يسكنها لا ليعملها، فهو فيها منعم مترف، وقد حذره الله ﷻ أنه إذا خرج منها فإنه يشقى فقال تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾ إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٧ - ١١٩].

فلم يكن التعب الذي سيلحق آدم من الكد في الأرض

عقوبة ، بل هو طبيعة الحياة على هذه الأرض ، أن ما تخرجه له الأرض لا يكون إلا بالتعب والكد ، ليس كحال الجنة ، فهناك فرق بينهما ، فالتعب نتيجة طبيعية للحياة على هذه الأرض ، وبسببها جعله الله خليفة في الأرض ليقضي بين الناس فيما يكون بينهم .

عاشرًا : كيف تزعمون أن الله محبة رغم هذه العقوبات القاسية : عقوبات للحية ، وعقوبات لحواء ، وعقوبات لآدم ، بل : ولعن الأرض ، ويا ترى ما ذنبها هي الأخرى ؟!

ثم توالت العقوبات بالطرد خوفًا من أن يأكل آدم من شجرة الحياة (!!) ، فهل بعد كل هذه العقوبات يكون من العدل أن تمتد العقوبة للأجيال بتوارث الخطيئة ، والتى جعلت الجنين والرضيع مجرمين مطرودين من ملكوت الرب ، وأنه نزع عن الإنسان إرادته لفعل الخير (وهذا هو الموت الذي تفسرونه) ؟ .

لقد تجرأتم على الله في هذا المنطق أشد الجراءة .

كل هذه العقوبات التي لحقت أطراف

القضية ، بل والأرض أيضًا معهم ؟

فمن ناحية : وصفتموه بالجبروت والطغيان ، لم يتمالك ولم يحلم ، بل مباشرة أخذ يلعن ويطرد ، ويعاقب ويتوعد ، مما جعل أحد الغربيين يقول ساخرًا : (إن الله أناني وقاسٍ جدًا - حاشا لله - ، فلقد لعن البشرية كلها وطردها من رحمته ، وحكم عليها بالشقاء المؤبد لمجرد أن فردًا واحدًا منها تجرأ على أكل تفاحة من حديقته)[(١)].

ومن ناحية أخرى : ازداد بطشه - وحاشاه سبحانه - فحمَّل جميع الخلق خطيئة آدم عليه السلام !!

ومن ناحية ثالثة : وصفتموه بظلم آخر ؛ حيث تزعمون أنه رأى أن من الرحمة أن يُصْلَب عيسى ويهان - وهو برئ - فداء للبشرية .

---

(١) مقال الخطيئة الأصلية ، ليزيد الحمزاوي (٢٠٠٩/٣/٢٥) : من موقع مجلة القرآن الكريم الإلكتروني :
-2009-07- 25-50/190
www.majalar-korarar.net/index/
knatia-orslya-html .

○ نقد الفقرة الأخيرة من سفر التكوين :

(وقال الرب الإله : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا الخير والشر ، والآن لعله يمد يده ويأخذ من شجرة الحياة أيضًا ويأكل ويحيا إلى الأبد ، فأخرجه الرب الإله من جنة عدن ليعمل الأرض التي أخذ منها . فطرد الإنسان وأقام شرقي جنة عدن الكروبيم ولهيب سيف متقلب لحراسة شجرة الحياة) .

وقفات مع هذه الفقرة :

أولًا : لماذا نرى الرب - لديكم - نادمًا لأن الإنسان عرف الشر والخير ؟ ، هل كان الرب يريد من الإنسان أن يظل أبله لا يدري حتى كونه عريانًا فضلًا عن أي معرفة أخرى ؟! .

هل هذا ما تريده النصرانية للبشرية ، أن يكونوا جهلاء لا يعرفون الخير والشر ؟! .

أما الإسلام فالله جعل تكريم الإنسان بالعلم ، ولم يكن تعليمه شيئًا يحزن الرب ويجعله متأسفًا ؛ لأن الإنسان علم الخير

والشر ، بل علمه أسماء كل شيء ، فبدأ حياته مكرمًا عالمًا ، له قدراته ومواهبه ليعمر هذه الأرض ، ويحقق معنى الخلافة ، ولقد كانت أول آية تنزل على رسول الله ﷺ : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ١ - ٤] فذكر العلم وأدواته، وللعاقل أن يتأمل الفرق بين الإسلام والنصرانية .

وأما قولهم في الرواية : (هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا للخير والشر) .

فكيف يشبه الرب معرفة الإنسان للخير والشر كمعرفة الرب ؟ لاشك أن هناك بون شاسع بين علم الله وعلم الإنسان مهما توسع الإنسان في المعرفة ، فكيف يقول الرب : هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا عارفًا للخير والشر ؟ .

ثانيًا : في الوقت الذي أظهرتم الله حزينًا أسفًا لمعرفة الإنسان للخير والشر جعلتموه خائفًا وجلًا خشية أن يأكل الإنسان من شجرة الحياة فيعيش الإنسان إلى الأبد ، وطبعًا -

حاشا لله - جعلتموه عاجزًا عن منعه من الأكل منها إلا بإقامة حراسة مشددة على شجرة الحياة ، إذ لا يكفي في هذه المرة أن يحذره من الأكل منها وإلا فالحية موجودة ستُكذِّب الرب ، وستخبرهم بالحقيقة ، فكان لابد للرب العاجز (!) - في وصفكم له ، وأستغفر الله - أن يتصرف بطريقة أخرى أشد صرامة وحزمًا .

ما هذا أيها القوم ، هل أنتم تتحدثون عن خالق السماوات والأرض علام الغيوب ، أم أنكم تتكلمون عن شخص حزين ندمان عاجز جاهل إلى غير ذلك من الصفات التي هي لازم قولكم ؟

ثالثًا : هل النهي لآدم عليه السلام كان عن شجرة واحدة أم عن أكثر من شجرة ؟

إن الرواية تؤكد أنه عندما نهاه إنما نهاه عن شجرة واحدة (شجرة الخير والشر) ولم ينهه عن غيرها .

فشجرة الحياة - طبعًا - كانت من الشجر المباح لآدم أن يأكل منها ، فما بالكم لو كان آدم أكل منها ، وقد أباحها الله له ؟!

لا أريد أن أدخل في تخمينات وظنون لا داعي لها، لكن الحقيقة محزنة وهي مضحكة :

رب يخاف أن يأكل الإنسان من شجرة أباح له الأكل منها !! ثم هو يجعل حراسة مشددة عليها (!!) إن هذا لعجب عجاب !!!

رابعًا : لاحظ أنه أخرجه إلى الأرض التي أخذ منها ليعمل الأرض، لاحظ هذا وما تقدم أنه وضعه في الجنة ليعملها، ففي كلتا الحالتين وظيفة آدم ليعملها، فلا فرق إذن كما سبق الكلام على ذلك.

خامسًا : يظهر من النص أن الرب غير متأكد هل سيمد آدم يده إلى شجرة الحياة أم لا ؟ لأن النص يقول : (لعله يمد يده) ، وهذا واضح أن الذي كتب هذه الرواية لا يتكلم عن إله يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، بل يتكلم بطبيعته البشرية، وبكل سذاجة لم يفرق بين الرب الإله أو غيره.

سادسًا : نتساءل : ما الحكمة من إيجاد شجرة الحياة في

الوقت الذي يخاف الله أن يأكل منها أحد فيكون منافسًا له ، هل هي يا ترى مجرد استمتاع بالنظر إليها ، وهو يتمشى في الجنة بين أشجارها ؟!!

سابعًا : هل طرد آدم من الجنة كان بسبب الخطيئة ؟ إن الملاحظ من الفقرة الأخيرة أن الخطيئة لم تكن وحدها هي السبب المباشر لطرد آدم من الجنة ، بل يضاف إلى ذلك خوف الرب أن يأكل آدم من شجرة الحياة ؟!

❁ ❁ ❁

فروق في القصة بين القرآن الكريم، وسفر التكوين

يمكننا أن نصل إلى اختلافات جوهرية في القصة بين القرآن وسفر التكوين أضعها أمام القارئ ليتبين الفرق، وليختر الصواب، فأبى الله إلا أن يحق الحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين.

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

وإليك الفروق أخي الكريم:

○ **الفرق الأول:**

في القرآن الكريم: كرَّم الله ﷻ آدم عليه السلام بكونه خليفة في الأرض، وبأمر الله الملائكة بالسجود له، وبتكريمه بالعلم.

في سفر التكوين لا يوجد شيء من هذا التكريم؛ بل آدم وزوجه لا يعرفان الخير والشر.

ولم تذكر لنا الرواية ما الحكمة من خلق آدم؟

○ **الفرق الثاني :**

في القرآن الكريم : أنعم الله على آدم وحواء بسكنى الجنة ، والسكنى معناها : الطمأنينة وهدوء البال ، مع النعيم والترف .

في سفر التكوين : وضع الله آدم في الجنة ليعملها ويحفظها ، أي أنه يعمل فيها (جنايني) ، ويحفظها (حارس) .

○ **الفرق الثالث :**

القرآن الكريم : نهى الله ﷻ آدم عليه السلام عن الأكل من شجرة من الجنة ولم يبينها لنا ما هي هذه الشجرة ؛ لأن المسألة مسألة اختبار وامتحان ، ولا يفيد الأمر شيئًا في معرفتنا لجنس هذه الشجرة من عدمه .

في سفر التكوين : نهى الله آدم عن الأكل من شجرة أطلقوا عليها : شجرة الخير والشر (ولا نعلم شيئًا عن هذه الشجرة) ، وكأن الله يريده جاهلًا عن معرفة الخير والشر .

○ **الفرق الرابع :**

في القرآن الكريم : آدم وحواء كانا مستورين في الجنة ،

ولم تنكشف عورتهما إلا بعد أن أكلا من الشجرة ، وهذا
شؤم المعصية ، فالمعصية تهتك الستر .

في سفر التكوين: آدم وحواء كانا عريانين ، ولا يدر
أنهما عريانان لأنهما لم تنفتح أعينهما ولم يعرفا الخير والشر
بعد المعصية ، فكانت المعصية سببًا للمعرفة ، فهي - يع
المعصية - كانت خيرًا وبركة عليهما .

وبهذا تعلم أن الأصل في الإسلام الستر ، والأصل عندهم العري

○ **الفرق الخامس**:

في القرآن الكريم: علَّم الله عز وجل آدم عليه السلام أسماء كل شي
قبل أن يكلفه بالنهي عن الأكل من الشجرة .

في سفر التكوين: لم يعلم آدم الخير والشر ومع ذلك كلِّف
بعدم الأكل من الشجرة بل وعوقب على المخالفة ، وهذا لا
يستقيم مع أدنى قواعد العدالة .

○ **الفرق السادس**:

في القرآن الكريم: حذر الله آدم من الشيطان أن يغويه

بأكل من الشجرة ، وأمره أن يعاديه .

في سفر التكوين: لا ذكر للشيطان في رواية سفر التكوين بالمرة ، فلماذا يا ترى ؟!!

○ الفرق السابع :

في القرآن الكريم: الذي أغوى آدم وحواء في الأكل من الشجرة هو الشيطان ، واستخدم الشيطان أساليب في الإغواء حتى زل آدم وحواء .

في سفر التكوين: الذي أغوى المرأة هي الحية (!!) لأنها كانت من أحيل الحيوانات !!! علمًا بأنه لم تتعرض للشيطان بأدنى ذكر ، وهذا شيء عجيب ، فالحية غير مكلفة ، ولا علاقة لها بمسألة الإغواء من عدمه .

○ الفرق الثامن :

في القرآن الكريم: يبين في أكثر من موضع أن الإغواء كان للأبوين فالمسئولية عليهما معًا ، وفي بعض المواضع أنه كان لآدم باعتباره رب البيت صاحب القوامة .

في سفر التكوين : كان الإغواء للمرأة فقط فألقى باللائمة عليها ، فحقروا بذلك شأن المرأة وجعلوها هي السبب في عناء البشرية !!

○ **الفرق التاسع :**

في القرآن الكريم: آدم وحواء أكلا من الشجرة ، ولم يذكر أن أحدهما أكل قبل الآخر .

في سفر التكوين : المرأة غوت فأكلت من الشجرة ، ثم أعطت رجلها فأكل دون أن يستفصل منها عن حقيقة الطعام الذي أعطته ثقة بامرأته ، ومع ذلك اتُّهِمَ وعوقب .

○ **الفرق العاشر :**

في القرآن الكريم: عَلِم الله ﷻ بخطيئة آدم عليه السلام وزوجته مباشرة لأنه علام الغيوب وعاتبهما على ذلك .

في سفر التكوين : الرب لم يعلم بخطيئتهما إلا بالاستنباط والاستنتاج عندما اختبأ منه آدم ، وأخبره أنه عريان ، فقال : وما أعلمك أنك عريان ، لعلك أكلت من الشجرة .

○ الفرق الحادي عشر :

في القرآن الكريم : أغوى الشيطان آدم عليه السلام بالكذب حيث أوهمه أنه إن أكل من الشجرة كان ملكًا أو كان من الخالدين ، وأقسم له على ذلك كذبًا وزورًا .

في سفر التكوين : أغوت الحية حواء ، لكنها كانت صادقة إذ أخبرتها أنها إن أكلت من الشجرة انفتحت أعينهما وعلما الخير والشر ، وأخبرتها أنهما لن يموتا فكان أغوائها نصيحة حيث تحقق كلامها ولم يتحقق كلام الرب . فيا للعجب !!

○ الفرق الثاني عشر :

في القرآن الكريم: أخرج الله عز وجل آدم عليه السلام وحواء من الجنة إلى الأرض وكلفهما بالتكاليف الشرعية ووعدهما أن من اتبع هداه عاد إليها .

في سفر التكوين : طرد الرب آدم وحواء من الجنة وعاقبهما- بغير ما توعدهما - بعقوبات هي من الأمور الطبيعية ، عقوبة ؛ فحواء تحمل وتلد بالتعب وتشتاق إلى رجلها

وهو يسود عليها .

وعقوبة آدم أنه يعمل في الأرض ويأكل بعرق وجهه ، ثم لم تذكر لنا الرواية شيئًا عن مصيرهما بعد ذلك .

○ الفرق الثالث عشر :

في القرآن الكريم: آدم وحواء أقرّا بذنبهما وضعفهما، وأنهما ظلما أنفسهما ، وطلبا من الله المغفرة .

في سفر التكوين : لم يثبت إقرارهما بالذنب ، بل كل منهما حاول أن يبرر موقفه ، فالمرأة أدانت الحية ، والرجل أدان المرأة ، ولم يعترف أحد بضعفه وظلمه ، ولم يطلب المغفرة .

○ الفرق الرابع عشر :

في القرآن الكريم: تبين في غير موضع أن الله تاب على الأبوين بعد طلبهما التوبة وندمهما على فعلهما .

في سفر التكوين : لم يتعرض لتوبة الله عليهما ، بل ذهب النصارى إلى أنهما ظلا متحملين بالذنب ، وتوارثته الأجيال

ويحملوه أيضًا ، فلم يُطهرا من ذنبهما ولم يُطهر أحد من الذرية من هذا الذنب إلا بعد صلب المسيح الذي قدم فداء لهما ولذريتهما ، حسب زعم النصارى .

○ **الفرق الخامس عشر :**

في القرآن الكريم: أثبت أن كل إنسان مسؤول عن عمله ، وأن الذرية تولد على الفطرة نقية مبراءة من الذنوب .

في سفر التكوين : يدَّعون أن ذنب آدم توارثته الأجيال من بعده ولم يتطهر أحد من الذرية حتى الأنبياء ، بل الكل يولد بهذا الذنب الذي لم يقترفه ، والإثم الذي لم يباشره .

○ **الفرق السادس عشر :**

في القرآن الكريم : لم يتعرض لشجرة أخرى غير الشجرة التى نهى الله ﷻ آدم عليه السلام عن الأكل منها .

في سفر التكوين : هناك شجرة أخرى تسمى بشجرة الحياة ، خشي الرب أن يأكل آدم وحواء منها ، فحرسها بالكروبيم ولهيب ، وهذه أعجوبة بل خرافة كما تقدم .

○ **الفرق السابع عشر :**

في القرآن الكريم : وصف الله ﷻ نفسه في خلال القصة بكمال علمه ، وكمال رحمته وشفقته .

في سفر التكوين : فيها وصف لله سبحانه بأقبح الأوصاف ، فإنه لا يعلم إلا بعد الاستنباط ، وأنه يحزن ويندم لأن آدم أكل من شجرة الخير والشر ، وأنه يخاف ويقلق أن يأكل آدم من شجرة الحياة .

○ **الفرق الثامن عشر :**

في القرآن الكريم : تبين لنا الحكمة من خلق الإنسان ؛ وهو أن يكون خليفة في الأرض ، وأعطاه الله ﷻ القدرات التي تؤهله لذلك .

في سفر التكوين : لم تنص الرواية عن هذه الحكمة بشيء ، وإذا سألتهم عن ذلك لم يجدوا جوابًا ، ولكن قد يجيب أحدهم من غير مصدر فيقول : الله خلقنا لأنه يحبنا (!)

○ **الفرق التاسع عشر :**

في القرآن الكريم : أعطى الله ﷻ الأمل لآدم عليه السلام ولذريته بالعودة إلى الجنة لمن اتبع هداه فقال تعالى : ﴿فَمَنِ ٱتَّبَعَ هُدَاىَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ﴾ [طه : ١٢٣] ، وأما من عصاه وخالف أمره فليس له إلا العذاب ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه : ١٢٤] .

في سفر التكوين : لم يتحدد لنا مصير الأبوين ، ولم تفتح باب للإنابة والتوبة ، بل كانت العقوبات صارمة ، وأشد من ذلك أن هذه العقوبات امتدت إلى الذرية ثم اخترعوا قصة الفداء للخلاص من هذا الذنب ، مع أن هذا الفداء لا وجود له في العهد القديم ولا العهد الجديد .

وبعدُ: أخي الكريم ؛ انظر إلى الفرق الكبير والبون الشاسع في هذه القصة بين نصوص القرآن الكريم ، وبين رواية سفر التكوين ، وتأمل أي الروايتين تنسجم مع العقل والفطرة وأيهما هي الخرافة والأساطير؟ ، لتجزم بأن هذا الكتاب الذي يدعى

(الكتاب المقدس) دخله التحريف والتبديل، فيستحيل تكون قصة آدم على نحو ما ذكره هذا الكتاب. فتأمل؛ ا الهادي إلى سواء السبيل.

❁ ❁ ❁

وقفات عامــــة

○ **الوقفة الأولى :**

نلاحظ أن في سفر التكوين أن الله « بارك » آدم قبل الخطيئة وبعد الخطيئة . فإنه جاء فيه :

(ذكر وأنثى خلقه **وباركه** ودعا اسم آدم يوم خلق) [التكوين ٢/٥] هذا قبل الخطيئة ، وأما بعدها :

(**وباركهم** الله وقال لهم : اثمروا وأكثروا واملأوا الأرض واخضعوها ...) [التكوين ٢٨/١] .

فما معنى أن الله باركه رغم أنه أخرجه من الجنة مغضوبًا عليه بسبب الخطيئة ؟ أليس في هذا دليل على أن الله تاب عليه ! وإلا فكيف يباركه الرب وهو مدنس بالخطيئة ، ولم تمح عنه بعد ؟

○ **الوقفة الثانية :**

لم تذكر لنا رواية سفر التكوين ماذا حدث لآدم بعد أن أخرجه الله من الجنة ، لقد وقفت الرواية عند هذا الحد ولم

تتجاوزها ، وكل ما أشارت إليه الرواية أن الرب طرد الإنسان ، وأقام الكروبيم ليحرسوا شجرة الحياة ، لكن ما مصير آدم بعد خروجه إلى الأرض ؟

هل يا ترى تاب من ذنبه ، وهل تاب الله عليه أم لا ؟

إن القصة في القرآن الكريم تؤكد هذا المبدأ ، لكن رواية سفر التكوين لم تفصح لنا عن مصير آدم عليه السلام بعد طرده من الجنة إلى الأرض .

○ الوقفة الثالثة :

يعتمد النصارى اعتمادًا شديدًا على هذه القصة في أن آدم حمل الخطيئة ، وتوارثتها الأجيال ، فما من أحد إلا ويولد محملًا بهذه الخطيئة ، وعلى الرغم من خطورة هذه القضية لأنها أساس معتقدهم ، فإنهم يعتقدون أن صلب المسيح إنما كان من أجل أن يتطهر آدم من الخطيئة ، بل ويتطهر جميع الذرية .

وعلى الرغم من هذا فإننا نجد أن الكُتب الأربعة في العهد الجديد لديهم لم تتعرض لهذه المسألة ، ولذلك نسألهم :

أين يوجد في الأناجيل أن خطيئة آدم توارثتها الأجيال ؟ وأين يوجد فيها أن الصلب المزعوم كان لأجل تطهير الخطيئة التي تزعمون أن الأجيال توارثتها ؟ ولماذا تجاهلت تلك الكُتب هذا الأمر الذي هو أصل دينكم ؟ ، نرجو الجواب .

○ **الوقفة الرابعة :**

كيف تزعمون أن الأجيال تتوارث الخطيئة ، فهل هذا يقبله عقل ، وقد ورد في أناجيلكم خلاف ذلك ، فتأمل هذه النصوص الواردة فيها .

● (لا يقتل الآباء عن الأولاد ، ولا يقتل الأولاد عن الآباء ، كل إنسان بخطيئته يقتل) . [التثنية ٢٤ - ١٦] .

● (الابن لا يحمل من أثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون)

[حزقيل ١٨ - ٢٠] .

وإذا كنتم تقولون : إن المسيح صلب ليخلص البشرية من الخطيئة التى توارثوها ، فلماذا هذه العقوبات مازالت موجودة :

العداوة بين الإنسان والحيات ، والحية تسعى على بطنها ، والمرأة ما زالت تحمل بالتعب وتلد بالألم وتشتاق لزوجها ، والرجل ما زال يتعب ويكد ويعرق . فما الفرق إذن قبل صلب المسيح وبعده ؟!!

○ **الوقفة الخامسة :**

ألم يكن في مقدور الله أن يغفر لآدم ، دون هذا العناء الشديد الذي تزعمون ، أليس في قدرة الله أن يغفر لآدم ، إنكم تزعمون أن الله إنما صلب ابنه البكر لأن الله محبة ، وأنه فعل ذلك محبة للإنسان ، فماذا يكون لو أن الله غفر له من غير هذا الصلب المزعوم ، هل يا ترى سيُنفى عن الله حبه للإنسان ، أم أن هذا سيكون دليلًا على الرحمة والمحبة والإحسان ؟ .

ومع هذا فقد ورد في نصوص الإنجيل ما يفيد أن الله يغفر ذنب من تاب إليه ، فانظر مثلًا في وصف الله في سفر الخروج :

- (حافظ الإحسان إلى ألوف ، غافر الإثم والمعصية والخطيئة) [الخروج ٧ - ٣٤] .

• (ولكن إن رجع الشرير عن خطاياه كلها التي ارتكبها ، ومارس جميع فرائضي وصنع ما هو عدل وحق فإنه حتمًا يحيا ، لا يموت) . [حزقال : ٨ - ٢٢] .

○ **الوقفة السادسة :**

لماذا لم يذكر أحد من الأنبياء شيئًا عن الخطيئة الأصلية ، بل ولا ذكرها عيسى عليه السلام ؟ وهذه كتبكم بين أيديكم ، لا يوجد نص واحد يشير إلى أن الأنبياء تكلموا عن هذه الخطيئة الأصلية الموروثة كما تزعمون ، ولو كان الأمر حقًا لما أهملت الأنبياء ذلك الأمر لخطورته وأهميته ، بل سألوا الله أن يغفر لهم هذا الذنب الذي ورثوه (!!) .

فهل يعقل أن يقال إن آدم لم يتب كما يزعمون رغم أن الله أعطاه فرصة التوبة ؟ فهل يعقل كذلك أن يقال إن جميع الأنبياء لم يخطر على بال أحدهم أن يتوب من هذه الخطيئة التي ورثوها ؟!! ، وكيف تجاهلوا ذلك وهي أخطر عقيدة عندكم ، إذ أنه منشأ أصل ديانتكم ، هل كتموا خبرها فيظل سرًا لا يعرفه أحد

غيرهم ؟ وكيف كان الله راضٍ عنهم رغم أنهم كانوا مدنسين بالخطيئة فيصفهم أحيانًا بالرجل البار ، وأحيانا بالرجل الصالح كما في النص الآتي .

(كان نوح رجلًا بارًا كاملًا) [التكوين ٦ : ٩] .

وكيف وفق الأنبياء إلى الخير ، وأنتم تزعمون أن الله نزع من الإنسان إرادة فعل الخير وتفسرون الموت بذلك ؟

ولماذا كتم الله سر الخطيئة فلم يعرفها الناس إلا بعد صلب المسيح ؟!

إننا لا نجد أحدًا تكلم بادعاء أنه ورث الخطيئة إلا بولس الطرطوسى ومعلوم أنه هو الذي أفسد دين النصارى ، لأن هذه العقيدة (الخطيئة - الصلب - الفداء - الخلاص) كل هذه أمور موروثة عن الديانات الوثنية القديمة ، عن الفراعنة والهنود واليونان والفرس وغيرهم ، ولذلك من السهل جدًا أن يتحول كثير من أصحاب هذه الديانات إلى النصرانية لتشابه العقيدة بينهما .

○ **الوقفة السابعة :**

ما يدعيه النصارى عن الخطيئة الأصلية وتوارثها دليل على أن القرآن الكريم من عند الله ﷻ ، لأنه لو كان القرآن الكريم من تأليف النبي ﷺ لكان الأيسر عليه أن يجاري العقائد الموجودة والمنتشرة في ذلك الوقت ؛ لكي يستقبل أكبر عدد من أصحاب هذه الديانات ، بدلًا من أن يقف موقف التحدي لهذه العقائد ، مما يعرضه لعدائهم له ، ووضع العقبات في طريقه .

ولكن لما كانت عقيدة الإسلام عقيدة صافية خالصة ، لا تخضع للأهواء ، صدعت بالحق ، وأبطلت الباطل ، قال تعالى : ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾

[الإسراء : ٨١] .

ملاحظة مهمة :

كيف تدعون توارث الخطيئة بحيث يحملها كل البشر ، وتعاليم أناجيلكم تذكر خلاف ذلك ، وإليكم هذه النصوص من كتبهم :

● فتقدم إبراهيم وقال : (أفتهلك البار مع الأثيم عسى أن

يكون خمسون بارًا في المدينة أفتهلك المكان ، ولا تصفح عنه من أجل الخمسين بارًا الذين فيه ؟ حاشا لك أن تفعل مثل هذا الأمر) [تكوين ١٨ - ٢٣] .

- (هل يخطئ رجل واحد فتسخط على كل الجماعة) . [العدد ١٦ - ٢٢] .
- (كل إنسان بخطيئته يقتل) [تثنية ٢٤ - ١٦] .
- (كل واحد يموت بذنبه ، كل إنسان يأكل الحصرم تضرس أسنانه) [أرميا ٣١ - ٣٩] .
- (الابن لا يحمل من إثم الأب ، والأب لا يحمل من إثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشريرعليه يكون ، فإذا رجع الشرير عن جميع خطاياه التي فعلها وحفظ كل فرائضي وفعل حقًا وعدلًا فحياة بحيًا) [حزفال ١٨ - ٢: ٢٢] .
- (سيجازى كل واحد حسب أعماله) . [بولس إلى روميا ٢:٦] .

ويلاحظ أن هذا النصوص فيها ما يدل على باب التوبة .

الوقفة الثامنة :

ينكر المسيح عليه السلام الخطيئة الأصلية ، ولا يعرف توارث الخطيئة ، وهذا من العهد الجديد لديهم ، فاسمع إلى هذا النص الذي يقول فيه المسيح :

- (لو لم آت وأكلمهم لم تكن لهم خطيئة ، وأما الآن ليس لهم حجة في خطيئتهم) [يوحنا : ٢٢/١] .

ومعنى هذا أن عيسى عليه السلام يبين أنه أقام عليهم الحجة بدعوته ولولا ذلك ما حوسبوا على خطاياهم التي يعملوها ، ومعلوم أنه لو كانت الخطيئة الأصلية متعلقة بهم لقال : لم تكن لهم خطيئة إلا ما ورثوه ، ولكنه لم يقل شيئًا من ذلك .

يقول عبد الأحد داود[1] :

(إن من العجب أن يعتقد المسيحيون أن هذا السر اللاهوتي وهوخطيئة آدم وغضب الله على الجنس البشرى بسببها - ظل

(١) كان رئيسًا للكنيسة الكلدانية وقد أسلم وصنف كتابًا بعنوان « الإنجيل والصليب »

مكتومًا عن كل الأنبياء السابقين ، ولم تكشفه إلا الكنيسة بعد حادثة الصلب) ويقرر الكاتب أن هذه المسألة هي من أجل المسائل التي حملته على ترك النصرانية واعتناق الإسلام لأنها - يعني النصرانية - أمرته بما لا يستسيغه عقل .

ثم يستطرد فيقول :

(ومن أغرب العجائب أن أسفار العهد القديم لم تَدَع جزئية من الجزئيات التافهة كأعداد بني إسرائيل وأسمائهم ، وطول وعرض ووزن الأشياء في أسفار اللاويين والتثنية والعدد ، وأكاذيب زنا داود بحليلة جاره[١] ، وزواج سليمان بألف امرأة ، وزنا لوط بابنتيه ، كل هذه التفاصيل سردت في أكثر من ١٢٠٠ صفحة بتفصيل ممل ، ومقزز يدعو للغثيان ، في حين أن الخطيئة التي هي أهم عقائد النصرانية على الإطلاق لا تجد لها مكانًا بين ذلك الركام لا تلميحًا ولا تصريحًا .

أليس هذا الأمر محيرًا ؟ بلى .

---

(١) ولا شك أن كل هذه أكاذيب ، واتهام لأنبياء الله ، ونعوذ بالله من الخذلان .

أليس هذا الأمر غير معقول ؟ بلى)[1] .

الوقفة التاسعة :

نسأل النصارى الذين يقولون : إن الذرية تحمّلت الخطيئة ، وأنه لا تحصل المغفرة إلا بسفك دماء وهو المتمثل عندهم في صلب الإله ابنه (!) .

فنسألهم : هل ورثت مريم العذراء - وهي أم الإله لديكم - الخطيئة أم لا ؟

فإن قلتم : نعم ، قلنا : إذن ورث يسوع (بناسوته !!) منها الخطيئة ؟ وأنتم تزعمون من شروط الفداء ألا يكون بخطيئة وهذا بطلان لعقيدة الصلب .

وإن قلتم : لا ، قلنا : إذن في مقدور الله أن يخلق البشر من غير خطيئة آدم ، وبدون صلب الإله ، فلماذا لم يفعل ذلك في بقية الذرية ؟! .

---

(١) « الإنجيل والصليب » لعبد الأحد داود .

لكن العجب أن بعضهم يجيب على هذا السؤال المح
لهم فيقول: ولدت مريم بالخطيئة، لكن لما حل عليها الرو
القدس طهرها[١].

ونقول: لا يسعدكم هذا الجواب، لأنه يبطل معتقد
حيث قال بولس: (وبدون سفك دماء لا تحصل المغفرة
ونقول أيضًا: إذا كان الله محبة، ومن الممكن أن تحصل المغف
بحلول روح القدس وبدون صلب وسفك للدماء، فلماذا
يجعل الله روح القدس تحل على آدم ويطهره، وتنتهي المأساة

الوقفة العاشرة:

انظر إلى الفارق النفسي الذي تضفيه العقيدة الإسلامية
والذي تضفيه العقيدة النصرانية.

ففي الإسلام: المولود يولد طاهرًا من يوم ولد، ويبدأ حيات
على النقاء والطهر.

---

(١) سنوات مع أسئلة الناس لاهوتيه وعقائدية صـ ٨٥. لشنودة.

وأما عند النصارى فتخيل أن يقال لك من أول يوم: أنت شرير، أنت مصيرك إلى الجحيم مهما فعلت من خير، وأجدادك كلهم في الجحيم ولا ينفعهم أي خير قدموه، إلا فداء وصلب المسيح.

وعندما يبشر الرجل أو المرأة بمولود لهما لا يرفرف عليهما السعادة والانشراح؛ لأنهما ما ولد لهما إلا طفل شرير ملوث بخطيئة آدم، فأي سعادة ينشرح لها قلبيهما؟

يقول أغسطينوس: (إن الإنسان وارث للخطيئة، غير مفدى إلا إذا آمن بالمسيح، ودلالة الإيمان التعميد، فمن عُمِّد فُدِيَ ونجا، ومن لم يُعمَّد لا ينجو ولو كان طفلاً، فإن الأطفال الذين ماتوا قبل التعميد يقول عنهم اكونياس: «سوف لا يتمتعون برؤية ملكوت الرب»)(1).

(1) انظر: سلسلة الهدى والنور هل أفتدانا المسيح على الصليب لـ «منقذ ابن محمود السقار»، مكة المكرمة، موقع صيد الفوائد: www.saaid.net/doat/monqiz/noor/4-22.htm

الوقفة الحادية عشرة :

إذا كنتم تعتقدون أن صلب المسيح هو كفارة الخطيئة ، وهو سبب الخلاص فنسألكم :

هل ما فعله اليهود من محاكمة المسيح ، وضربه والبصق عليه وصفعه ، ثم صلبه - حسب زعمكم - هل هذا العمل يحمدون عليه ويشكرون عليه ، ويكون ذلك من مآثرهم التي يفخرون بها ، ويكون الواجب علينا أن نبجلهم ونثني عليهم لقيامهم بهذا العمل الذي تطّهر بسببه البشرية من الذنب الموروث ؟ أم أنكم تعتبرون ما فعله اليهود في حق المسيح عمل إجرامي لأنهم آذوه وأهانوه ، وغير ذلك مما ورد في كتبهم ، حتى وصل بهم الأمر إلى القتل المزعوم (!!)

الوقفة الثانية عشرة :

سؤال موجه لكل نصراني أيًا كان سنه ، أو درجة علمه : لو كنت موجودًا وقت محاكمة المسيح عليه السلام ، وأنت ترى اليهود وهم يضربونه ، ويبصقون عليه ، ويضعون الشوك على رأسه ،

يصفعونه ، ويجلدونه ، ويقدمونه لخشبة الصلب ، هل كنت ممن يدافعون عن المسيح عليه السلام فيمنع اليهود من هذه الأفعال الطاغية على إلهك المتجسد - كما تزعم وتعتقد - أم كنت ممن يؤيدهم على فعلهم ويساعدهم على صلبه لكي تنال الخلاص المزعوم ؟!!!

❁ ❁ ❁

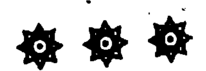
الوقفة الثالثة عشرة :

إذا كنتم تقولون الله خلقنا لأنه يحبنا ، وافتدانا بصلب إبنه البكر (!!) لأنه يحبنا ، والسؤال :

إذا كان الأمر كذلك ، فكيف ترك الله الأمر آلاف السنين وهو يسمع صراخ الأطفال والنساء والشيوخ في الجحيم بلا ذنب فعلوه ، أو خطيئة صدرت منهم ، بل لأنهم ورثوا خطيئة آدم !! فلماذا تركهم الله كل هذه السنين ، وفي إرادته أن يفديهم بذبح ابنه ، أما كان من الرحمة أن يُعجِّل بهذا الفداء بعد خطيئة آدم

مباشرة ، أو على الأقل بعد الجيل الأول ، بدلًا من أن يعاقب م
لا ذنب له ، وفيهم الأتقياء والأنبياء ، فيظهر منه ما يخالف رحمت
بخلقه ، وأنه عاقبهم ظلمًا وعدوانًا ؟!

أما كان من الرحمة - وهو يحبنا - أن يعجل بالفداء المزعو
لينتهي هذا اللغز ؟ أم أنكم ستقولون إن فكرة الفداء لم تكن في
الحسبان ، ثم طرأت عليه بعد ذلك فتتهمون الله ﷻ بأنه كان
يجهل ذلك ثم علمه ؟ وعلى هذا ففي جميع الأحوال هو اتها
الله ﷻ ، لأن المعتقد - في الأصل - باطل ، وما تولد عن باطل
فهو باطل .



تحليل عقيدة النصارى

• والسؤال الآن : ما هو تحليل هذه العقيدة ؟

إن أكثر التحليلات العلمية للديانة النصرانية تُرجع منبت هذه العقيدة الغير مقبولة عقلًا « كالخطيئة » إلى الجهود المشبوهة التي قام بها أعداء التوحيد في تدمير الدين وتحريفه ، وعلى رأس أولئك جميعًا بولس « شاؤول » ، الذي يعتقد النصارى أنه رسول المسيح .

لقد لعب بولس دورًا خطيرًا في الهدم من الداخل ، وكان يصعب - إن لم يكن من المستحيل - فعله من الخارج .

ولقد كان ذكيًا عندما لم يخترع ديانة جديدة من عنده ، إنما عمد إلى عقائد فاسدة كانت موجودة في ديانات الوثنيين : « البوذية - البراهمية - المتراسية - المصرية القديمة - وفلسفة الإغريق والرومان .. » الخ .

فأخذ من هنا وهناك أشياء كانت شائعة في ذلك الزمان ثم ألصقها بالديانة النصرانية الجديدة في غفلة من أهل العلم .

وقد تزامن ذلك مع حملة اليهود والرومان الشرسة على الحواريين وتلاميذ المسيح ، فضاع الحق وأخذ مكانه الباطل المزخرف الذي دعمته فيما بعد سلطة الدولة الرومانية لما تنصرت

وبخصوص الخطيئة : يذكر علماء تاريخ الأديان وجود فكرة الخطيئة في أكثر الديانات الوثنية التي سبقت النصرانية

يقول : م وليمز في كتابه (الهندوسية) : يعتقد الهنود الوثنيون بالخطيئة الأصلية ، ومما يدل على ذلك ما جاء في تضرعاتهم التي يتوسلون بها بعد «الكبانرى» وهي : (إني مذنب ، ومرتكب للخطيئة ، وطبيعتي شريرة ، وحملتني أمي بالإثم ، فخلصني ياذا العين الحدقوقية ، يا مخلص الخاطئين ، يا مزيل الآثام والذنوب)[١] .

ويقول أيضًا : (الهنود يقولون : ومن رحمته تركه الفردوس ونزوله إلى الدنيا من أجل خطايا بني الإنسان وشقائهم ، كي

---

(١) الهندوسية (صـ ٣٦) .

يررهم من ذنوبهم ويذيل عنهم القصاص الذي يستحقونه)[١] .

وتقول الراهبة كارت ارمسترونج : (إن معتقد الخطيئة الأولى إنما هو اختراع المسيحية ، ولقد كان له أعمق الأثر في الفكر الغربي ، فهو يعلمنا أن طبيعتنا شر وميئوس منها ، فهو معركة الشعور بالإثم مع نفس تظهر أنها ترفض الخلاص ، ورعب من جهنم ، وأخيرًا فإنه بسبب الطريقة التى صنع بها هذا المعتقد فهو خوف من الجنس ، وكراهية للنساء ، لقد كان القديس بولس هو الذي ورثنا معتقد الخطيئة الأصلية في المسيحية)[٢] .

ويقول هوك في كتابه « رحلة هوك » : (يعتقد الهنود الوثنيون بتجسد أحد الآلهة ، وتقديم نفسه ذبيحة فداء عن الناس والخطيئة)[٣] .

ويقول : مكس مولر : (يزعم البوذيون أن بوذا قال : دعوا كل

(١) الهندوسية (صـ ٢١٣) .
(٢) عمل المرأة في الميزان .
(٣) رحلة هوك (٣٢٦/١) .

الآثام التي ارتكبت في هذا العالم تقع عليّ كي يخلص العالم)[١] .

فانظر الآن إلى هذه النصوص لتعلم حقيقة : أن فلسفة الخطيئة والفداء مما لحق بالنصرانية من العقائد الوثنية .

وعلى معتنقي هذه العقيدة أن يراجعوا أنفسهم ، ولا يقنعوا بما ورثوه من هذه المعتقدات ، فليحرروا أنفسهم من هذا الأسر الكهنوتي الذي قيد عقولهم ، فلم يسمعوا إلا من قساوستهم فقد آن الأوان لكم مع هذا الانفتاح العلمي أن تبصروا الحق وتهتدوا إليه ، وأن تحطموا هذه القيود العقدية إلى نور الإسلام والقرآن ، كما سبقكم إلى ذلك الكثير منكم ومن غيركم .

* * *

---

(١) انظر موقع الدعوة الإسلامية ، مقال للدكتور منقذ السقار :
www eld3wawh.net/html/newt-testament/11-wtheya.htm.

الـرد علـى الافتراءات
حول آدم عليه السلام والخطيئة

الافتراء الأول :

ادعى النصارى أن توارث الخطيئة موجود في الإسلام لما ورد في الحديث : « فجحد آدم فجحدت ذريته ، ونسي آدم فنسيت ذريته » .

والجواب :

إن هذا الكلام ليس فيه أدنى دلالة على توارث الخطيئة ، بل فيه توارث الطباع ، فإن من طبيعة الإنسان : الجحود للشيء ونسيانه .

ثم نسألهم هل يقال : نسى آدم فعوقبت ذريته بنسيانه ، أو جحد آدم فعوقبت ذريته بجحوده ؟

هذا كلام لم يقله الإسلام ، ولم يدع أن البشرية كلها محملة بأوزار خطيئة آدم كما يدّعيه النصارى .

وكيف يزعم النصارى ذلك على الإسلام، ومبدأ الإسلام واضح جليّ أنه لا يحمل أحد وزر آخر، بل كل إنسان يحاسب بعمله، قال تعالى: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ [النجم: ٣٨، ٣٩].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا﴾ [لقمان: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [فصلت: ٤٦].

كما أن منهج الإسلام واضح جلي، وهو أن المولود يولد مبرءًا طاهرًا غير محمل بذنوب أحد سبقه كما في الحديث: «كل مولود يولد على الفطرة»، فكيف يقال بعد كل هذا: إن الإسلام فيه فكرة توارث الخطيئة ؟!

❁ ❁ ❁

الافتراء الثاني :

قالوا : إذا كان الله تعالى قد تاب على آدم فلماذا لم يرجعه إلى الجنة ؟

فالجواب :

أولًا : إن الله إنما خلق آدم ليسكن الأرض أصلًا ولكي يكون خليفته في الأرض قال تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة : ٣٠] ، وأما سكناه الجنة فكان هذا من باب التكريم والإحفاء بهذا الإنسان ، ووراء ذلك حكم أخرى[١] .

ثانيًا : من الملاحظ أن الله ﷻ ذكر توبته لهما ثم أهبطهما إلى الأرض ، قال تعالى : ﴿وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ۝١٢١ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ...﴾ الآيات [طه : ١٢١، ١٢٢] . ويشعر هذا أنهما أهبطهما إلى الأرض طاهرين مغفورًا لهما .

---

(١) انظر الرد على الافتراء الآتي .

وخلاصة الأمر أنه تعلق بعصيان آدم شيئان :

الأول : الإثم بالمعصية .

الثاني : الخروج من الجنة لأنه اتبع وساوس الشيطان .

فأما الإثم فقد غفره الله بالتوبة ، وأما الرجوع إلى الجنة فإنما يتحقق باتباع هدى الله الذي كلفه به بعد إخراجه منها .

فهذا جواب واضح جلي ، لكن بشبهتكم هذه وسؤالكم هذا قد فتحتم به على أنفسكم سؤالًا لا تجدون عنه محيصًا ولا تجدون له جوابًا فإننا نسألكم :

وما الذي حدث للذرية التي توارثت الخطيئة بعد الصلب (المزعوم) ، لماذا لم يرجعهم الرب إلى الجنة التي سكنها آدم ، ولماذا العقوبات مستمرة ؟ :

عداوة بين الحية والبشر .

المرأة بالوجع والتعب تحمل وتلد ، والمرأة تشتاق إلى زوجها وهو يسود عليها .

الرجل يتعب ويكد ويأكل بعرق وجهه .

ما الجديد عندكم يا قوم؟ هل من مجيب ؟!

الافتراء الثالث :

ربما يقول قائل : إذا كان الله خلق آدم ليكون خليفة في الأرض فلماذا أسكنه الجنة ؟ .

والجواب قد تقدم من وجوه :

الوجه الأول : أن إسكان الأبوين للجنة نوع آخر من أنواع التشريف الذي أكرم الله به الأبوين ، فقد أكرمهما بأن خلق آدم بيده ، وعلمه أسماء كل شيء ، وأمر الملائكة بالسجود له ، وكان من الإحفاء والإكرام أيضًا أن يسكنهما الجنة قبل أن يوكلهما بالمهمة التي خلق الإنسان من أجلها .

الوجه الثاني : أن في إسكان الأبوين الجنة ثم إخراجهما منها ما يبعث في النفس البشرية الجد للعودة إلى مسكنه الأول ، فهذا هو المسكن اللائق به إن هو أطاع الله ﷻ :

فحي على جنات عدن فإنها
منـازلـك الأولـى وفيهـا المخيّمُ
ولكننا سبي العدو فهل ترى
نـعـود إلـى أوطـانـنـا ونـسـلّـمُ

الوجه الثالث : أنه قد ظهرت عداوة الشيطان للإنسان حقيقة ، وظهر مدى الحيل الماكرة التي يتخذها الشيطان في إغواء الإنسان حتى أخرجه من الجنة ، وعلى هذا فينبغي للإنسان أن يكون أشد حذرًا لأن الشيطان يسعى في ألا يرجع الإنسان للجنة .

الوجه الرابع : ظهر عجز الإنسان وضعفه ، واحتياجه إلى عصمة الله من الشيطان الرجيم ، فبالرغم من هذا النعيم الذي يعيش فيه آدم ، وبالرغم من نهي الله له دون واسطة ، إلا أن الضعف الإنساني حقيقة فيه ، حتى تمكن الشيطان من إغوائه ، فكم نحن في حاجة دائمًا بالتضرع إلى الله أن يحفظنا من الشيطان الرجيم .

الوجه الخامس : يتبين لنا آثار أسماء الله الحسنى وصفاته العلى ، فهو الحليم : إذ لم يعجل بالعقوبة رغم عصيان الأبوين ولم يغلق دونهما الباب ، وبهذا يتبين أن رحمته سبقت غضبه ، وهو التواب الرحيم إذ أن عفوه سبق انتقامه . فإذا أذنب العبد فعليه بالندم والتوبة النصوح ، والله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل .

* * *

شهادة النصارى على إبطال توارث الخطيئة

أذكر هنا شهادات كثير من النصارى على إبطال توارث الخطيئة ، وأثر هذه الفكرة على الناس ، وإليك هذه الشهادات :

(١) نرى أن بولس - وهو صاحب فكرة الخطيئة الموروثة - شكك في حصول ذلك حيث جاءت عبارته هكذا : (كأنما بإنسان واحد دخلت الخطيئة في العالم) [رومية : ٥/١٢] ، فكلمة « كأنما » تشكيك في حصول ذلك .

(٢) مخطوطات نجع حمادي المكتشفة بعد الحرب العالمية الثانية خلت من الحديث عن الخطيئة والغفران الذي يتحدث عنه آباء الكنيسة ، وهذا يدل على أن فكرة الخطيئة فكرة مستحدثة على عقيدتهم كما بينت من قبل .

(٣) أنكر كثير من رهبان وقساوسة النصارى هذه العقيدة ، ومن هؤلاء المنكرون في روما في مطلع القرن الخامس : ... وسلينوس ، وأصحابهما وقالوا : إن هذه الفكرة تمنع

السعادة الأبدية ، وقالوا : إن الإنسان موكول بأعماله .

(٤) وفي دائرة المعارف نقلًا عن كونيليس سينس قال : « ذنب آدم لم يضر إلا آدم ، ولم يكن له أي تأثير على بني النوع البشري ، والأطفال الرضعاء حين تضعهم أمهاتهم يكونون كما كان آدم قبل الذنب » .

(٥) الدكتور نظمي لوقا في كتابه « محمد الرسالة والرسول » قال : (الحق أنه لا يمكن أن يقدر قيمة عقيدة خالية من أعباء الخطيئة الأولى الموروثة إلا من نشأ في ظل تلك الفكرة القائمة التي تصبغ بصبغة الخجل والتأثم كل أفعال الفرد ، فيمضي حياته مضي المريب المتردد ، ولا يقبل عليها إقبال الواثق بسبب ما أنقض ظهره من الوزر الموروث ، إن تلك الفكرة القاسية تسمم ينابيع الحياة كلها ، ورفعها عن كاهل الإنسان منة عظيمة ، بمثابة نفخ نسمة حياة جديدة فيه ، بل هو ولادة جديدة حقًّا ..)[١] .

---

(١) كتاب « محمد الرسالة والرسول » ص٧٨، ط الثانية ، دار الكتب الحديثة ، سنة ١٩٥٩م .

ويقول – معبرًا عن نفسه – : (وإن أنسى فلا أنسى ما ركبني صغيرًا من الفزع والهول من جراء تلك الخطيئة الأولى ، وما سيقت فيه من سياق مروع يقترن بوصف جهنم .. جزاء وفاقًا على خطيئة آدم وبإيعاز من حواء ... وإن أنسى لا أنسى القلق الذي ساورني وشغل خاطري على ملايين البشر قبل المسيح أين هم ، وماذنبهم حتى يهلكوا بغير فرصة للنجاة ؟)[١] .

(٦) يقول فوليتر : (إذا كانت المسيحية تعتبرنا مخطئين حتى قبل أن نولد ، ونجعل من خطيئة آدم سجنًا للبرئ والمذنب ، فما ذنب المسيح كي يصلب أو يقتل ؟ وكيف يتم الخلاص من خطيئة بارتكاب خطيئة أكبر) .

❁ ❁ ❁

(١) المصدر السابق .

الخاتمـــة

فهذه مقارنة سريعة حول قصة خطيئة آدم عليه السلام ، سطرها القلم إظهارًا للحق وإبطالًا للباطل ، فقد أوقفتك على نقاء الإسلام وصفائه ، ونظرته للإنسان وتشريفه له ، وأنه مكرم من الله عز وجل الذي منحه قدراته ومواهبه ؛ وخلقه ليكون خليفة في الأرض ، ويسر له الأدوات العلمية التي تؤهله لذلك ، وهيأ له قدراته النفسية ، فهو إنسان طاهر نقي صاف النفس ، إلا أن للشيطان معه جولات قد يوقعه في الزلل أحيانًا ، لكن الإنسان العاقل سرعان ما يعرف خطأه ويندم على فعله ، ويرجع إلى ربه ، والرب موصوف بالمغفرة والتوبة فإنه يقبل توبة من أناب .

هذا ما تبين لنا من خلال النصوص القرآنية الكريمة ، بخلاف الحال في نصوص العهد القديم التى تتحدث عن الخطيئة ، والتي كان بسببها نتج هذا الحصاد الآتي :

أولًا : الإنسان جاهل لا يعرف الخير والشر ولا يدري أنه

عريان ، ولم يدرك ذلك إلا بالمعصية ، وأن الإنسان مولود وقد ورث ذنبًا لم يرتكبه ، فهو لا يمضي في حياته بنظرة فيها التفاؤل ، بل يمضي حياته بنظرة المريب المتردد ، مدنس متنجس بالذنب الذي تعلق برقبته ، وانصبغ به جسده ، فأي فزع هذا ، وأي هول هذا الذي يبدأ به الإنسان حياته ، وهو يرى أنه يعامل ربًّا سريع الغضب ؛ لعن الأرض كلها بسبب ذنب واحد ، وحَمّل الجميع عقوبة هذا الذنب ثم لم ينته الأمر حتى كانت الوسيلة لغفران الذنب بفكرة فلسفية لا ترابط بينها وهي قضية الصلب لينال البشرية الخلاص .

ثانيًا : أن هذه العقيدة كانت سببًا لفكرة الإلحاد ، كما يقول الفيلسوف الألمانى نشته :

(إن كان من شأن فكرة الله أن تسقط خلال الخطيئة على براءة الأرض ، فإنه لابد للمؤمنين بالحس الأرضي أن يهووا بمعاولهم على تلك الفكرة : (الله) .

فانظر كيف سببت هذه النظرة تجرأ هؤلاء على رب العالمين ، فهذا يصفه بالظلم[(١)] ، وهذا ينادي بالإلحاد وهدم معاني الألوهية .

ثالثًا : احتقار المرأة لأنها سبب عناء البشرية .

وقد قدمت لك كثيرًا من أقاويل المفكرين حول المرأة بسبب الخطيئة ، لكني أعيد ما قاله القس بان بول فنتورا حيث يقول : (إذا رأيتم امرأة فلا تحسبوا أنكم ترون كائنًا بشريًا ، ولا كائنًا وحشيًا ، وإنما الذي ترونه هو الشيطان)[(٢)] .

وبعد أخي القارئ :

هل يمكن أن تكون هذه الرواية من وحي الله ؟

لا أعتقد أن أحدًا يرى كل هذا التناقض ، وكل هذه الإشكاليات ، ثم هذا الحصاد المر بسبب هذه الرواية ، ثم

---

(١) تقدم ، انظر ص ٨٩.

(٢) تقدم ، انظر ص٦٣ .

يمكنه - بعد ذلك - أن يعتقد أن يكون هذا من وحي الله ﷻ .

والحمد لله على نعمة الإسلام وكفى بها نعمة .

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء : ٨١] .

وصلِّ اللهم وبارك على عبدك ونبيك محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وآخر دعوانا أن الحمدُ للَّهِ رب العالمين .

❁ ❁ ❁

الفهرس

الموضوع الصفحة

❁ ❁ ❁

وقفات بين

الإسلام و النصرانية

حول آدم عليه السلام والخطيئة المزعومة

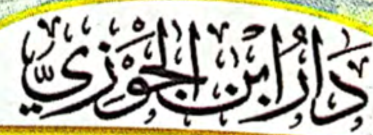
تأليف

أبي عبد الرحمن

عادل بن يوسف العزازي

دار ابن الجوزي

القاهرة



جمهورية مصر العربية - القاهرة

٥ درب الأتراك - خلف الجامع الأزهر

هاتف: ٠٠٢٠٢/٢٥٠٦١٩٠٢ تليفاكس: ٠٠٢٠٢/٢٥٠٦١٦٢٠

جوال: ٠٠٢٠١٠١٧٦٦٧٣٩٨ - ٠٠٢٠١٠٣٣٥٠٦٩٧

E-mail:dar_ebnelgawzy@yahoo.com

